في البناء الحضاري

رؤية المؤرخ

أكرم ضياء العمري لقضايا الأمة

من خلال كتبه:

- **التراث والمعاصرة**
- **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**
- **الإسلام والوعي الحضاري**

إعداد

أيمن حسن الدمنهوري

في ١٤ أكتوبر ٢٠٢٤م

ملخص لأهم نقاط كتاب التراث والمعاصرة د. أكرم ضياء العمري

التراث والمعاصرة

ولكن العديد من المثقفين المتشبعين بالتراث وروحه تخطو هذا الطرح الهزيل لقضية التراث التي يرونها تتمثل في بعث روح حضارية تربط الحاضر بالماضي ، وتؤكد على الأصالة تأكيدها على المعاصرة ، ورغم أنهم لا يؤمنون بشد العربة إلى الوراء ولا الالتزام الحرفي بكل جوانب الماضي بل يؤكدون على عوامل التقدم الحضارية ، لكنهم يضعون إطارا عاما للتطور يحكمه الوحي الإلهي الذي ينبغي أن يشكل روح الحاضر ودستوره العام , كما كان في عصور الإسلام الذهبية ... وهذا التيار يمثل الاتجاه السلفي الذي اشتدت قوته في العقود الأخيرة ، وعبرت عنه وسائل الإعلام بـ((الصحوة الإسلامية))٠

ويقف بين الاتجاهين أصحاب الحلول الوسطية التوفيقية يمثلون تيارا انتقائيا يسعى للتوفيق بين قيم التراث والحضارة الغربية ،وهو يقترب مرة من الإتجاه السلفي عندما يسلم بالوحي الإلهي ودوره في بناء حضارة إسلامية معاصرة ، ويقترب أخرى من الاتجاه الرافض للتراث بمعناه الشمولي عندما يجعل الانتقاء يمتد إلى الوحي الإلهي نفسه ،ويعامله مثل بقية المعطيات الأخرى ٠

وأحيانا يشتد التناقض في ذهنية بعض التوفيقيين ، ويحاولون الخلاص باقتراح الفصل بين القرأن والسنة باعتبارها وحيا إلهيا وبين النتاج الثقافي والحضاري في التراث ، ليتم الانتقاء والنقد بحرية دون المساس بالعقيدة الدينية ...والحق أن هذا الرأي يبعد عن واقع المشكلة الحقيقية لأن الفصل غير ممكن عمليا ، ولأن النقد يمكن أن يتعرض للعقيدة والشريعة من خلال نقد قيم التراث المستند من الوحي الإلهي ..

فالتراث الإسلامي هو ما ورثناه عن أبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية ،ومن ثم فلن يقتصر التراث على المنجزات الثقافية والحضارية والمادية بل إنه يشتمل على الوحي الإلهي (القرآن والسنة) الذي ورثناه عن أسلافنا ، وعندما نتبنى هذا التعريف الشامل للتراث ؛ فإن النظرة إليه والتعامل معه لن يكون واحدا، إذ أن الوحي الإلهي لا يقبل الإنتقاء والإختيار منه او محاولة تطويعه للواقع أو التفكير بتوظيفه لتحقيق مصالح خاصة أو عامة، بل هو إطار يحكم الحياة ؛ ولكنه يدعها تتطور داخله ، فإذا انفلتت خارجه فقد وقع انحراف لا بد من تقويمه

وقد حذر القران نفسه من محاولة الإنتقاء هذه :

((أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب)) (البقرة: ٨٥)

وأما المنجزات البشرية الحضارية والثقافية فإنها قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة وحسب الحاجة والمصلحة أما النهضة العلمية الذاتية فيمكن أن ترتكز على روح التراث وحوافزه الروحية والفكرية أكثر من منجزاته العلمية والصناعية ؛ هذه الروح التي توجد محاضن صالحة للتكنولوجيا المنقولة عن الغرب تجعلها مغروسة في بيئتنا وملائمة لحضارتنا ، ومتفقة مع أهدافنا ، وقد تدفعنا هذه الروح إلى تجاوزالحضارة الغربية في مرحلة تاريخية لاحقة ٠

ومن أجل أن تكون الرؤية واضحة يلزم تحديد الأهداف بدقة واختيار الوسائل الملائمة ، ولابد من دراسات واسعة لمعرفة قيم التراث وأثر إحيائه على حياتنا العقيدية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ٠

إن عملية نقل التراث إلى الأجيال المعاصرة ليست سهلة ،فإن احتمال التحريف المتعمد للقيم التراثية يعتبر من ابرز الأخطار التي اقترنت بما تم في هذا المجال ؛ بسبب الغزو الثقافي الذي تعرضت له ارض الحضارة الإسلامية والذي أدى إلى إحلال قيم ثقافية جديدة تتصل بالحضارة الغربية ولا ترتكز إطلاقا على جذورنا الثقافية ٠

إن التيسير المطلوب والتوطئة المقصودة ؛ تحتاج إلى أقلام تؤمن بعقيدة الأمة الإسلامية ، وتقر بجدوى تجديد روح الأمة وقيمها بالارتكاز على جذورها الحضارية والثقافية ٠ ومن دون ذلك لن يكون التيسير إلا تشويها منظما وتخريبا مقصودا ، ولن يثمر في تعميق الوحدة الثقافية للأمة بل سيزيد في الفصام ، ويقوي التشتت والإحساس بالضياع وفقدان الهوية ٠

فلا بد أن تكون معالم الطريق واضحة ،وأن تكون خطا الأمة ثابتة واثقة ، وأن يسودها روح التحدي للتخلف والتمرد على الواقع .

فالطفرات هي الوسيلة الوحيدة للحاق بالأخرين فضلا عن سبقهم ، وما دام الأمر كذلك فلا بد من دراسة التاريخ الحضاري العالمي وخاصة فترات الأزمات العصيبة التي مرت بالأمم ، ولا بد من أن تتحول الدراسات إلى روح عامة في الأمة ولا تقبع في مدارج الأكاديميين أو علي رفوف لمكتبات.

المشكلة الاجتماعية

الحرية الفردية ـ الحرية الجنسية ـ انتكاس العلاقات الاجتماعية ـ إباحة العلاقة الجنسية بين الأشقاء فوق سن الواحدة والعشرين ـ (النموذج الغربي)

دور التراث في مواجهة المشكلة الاجتماعية

الحاجة إلى قيم أخلاقية ومثل عليا

تحليل الوضع القائم تأثير الحضارة الغربية على منظومة القيم الموجودة ـ العديد من القيم الموجودة ليس لها أصول صحيحة مستمدة من السنة أو القرآن ـوما له أصول تشوبه الشوائب

الحل:

متمثل في النماذج والتطبيقات التاريخية التي تعمق القيم الخلقية الإسلامية في قلوب الجماهيروتعطيها أبعادها التفصيلية المتنوعة ـ عملية الفرز والتخلص من الشوائب ـ عدم التزام العديد من كتاب الفكرة الإسلامية الدقة في تصوير القيم القرآنية ـ الحلال والحرام ـ يقظة الضمير. في اللاشعور برغم من اختفائه في الظاهر.

المشكلة السياسية :

- كيف نرسخ معاني الوحدة بين أمة الإسلام ؟ وما أثر التراث في ذلك ؟ لقد اعتبرت الدراسات الاستشراقية ، وتابعها كثير من المؤرخين العرب ، قيام الدويلات في العصر العباسي الثاني سببا لانعاش الحركة الفكرية والحضارية في العالم الإسلامي ، وقد بولغ في ذلك ؛ إذ كيف يكون ضياع وحدة العالم الإسلامي السياسية عاملا في تقدمه الحضاري ؛حتى كأننا نرسب في عقول الأجيال الإسلامية أن التمزق السياسي له مزايا من حيث ندري أو لاندري .
- ألا ينبغي دراسة الأسباب وفق القوانين الاجتماعية وسنن نشأة الدول وارتقائها وضعفها ؟ الدورة التاريخية كما يشرحها ابن خلدون ..أو عوامل ازدهار الحضارة وضمورها وفق عوامل التحدي كما يطرحها توينبي ..وإذا كنا لا نقبل هذين التفسيرين في تعليل تاريخ الحضارة الإسلامية ..فلماذا لا نعود إلى التصور الإسلامي المنبثق عن القران والسنة للتعرف على أسباب انهيار الحضارات التاريخية ..وتطبيق ذلك على الدولة العباسية ؟ إننا بحاجة إ لى نظرية شاملة للتفسير التاريخي ..وقد آن الأوان لدراسة تاريخنا دراسة علمية بعيدة عن الارتجال .
- ما هي عوامل التوحيد فيى الدولة العباسية أيام قوتها ؟ وكيف نازعتها القوى المحلية وانتهت إلى التجزئة؟
- ما هو الموقف النظري (المنبثق من الدين) مما أصاب الوحدة من أخطار التجزئة ؟ ماهي الأضرار التي نجمت ؟ ومالفوائد التي حصلت ، إن كان في التجزئة فوائد؟
- إنني أعتقد بأن التنظير في العصر العباسي كان عاجزا عن مواكبة التقدم وأن تغذية الجمهور بمعاني الوحدة كان ضعيفا ..بمعنى تخلف الفكر السياسي عن مواكبة الأحداث ، رغم تميزه عن الفكر السياسي الوضعي باستقائه من الوحي ..لكن المهم أن تسري معاني الوحي في القلوب والعقول ؛ فتتشرب الشعوب بالوحدة وتحافظ عليها من منطلق العقيدة ، وتقاوم عوامل التجزئة والتشرذم التي تقف وراءها الأنانية الفردية والجماعية بنزعاتها المحلية .

وبالطبع عند الكلام عن تخلف الفكر السياسي وخاصة في التنظيم فينبغي أن لاننطلق من مفاهيم ونظم القرن العشرين ..وإنما تتم المقارنة مع الكيانات الأخرى المعاصرة للعباسيين ، مثل : الدولة البيزنطية والصين ..

وأيضا فإن التجربة الإنسانية لها دور كبير في استيعاب مفاهيم الوحي الإلهي من ناحية ، وفي إيجاد الوسائل الكفيلة باستمرار تأثير الوحي على الحياة من ناحية أخرى ٠ ومن هنا فمن الخطأفي نقد الوضع السياسي في العصر العباسي أن يقاس بدول القرن العشرين مثلا٠ فوسائل التصال والانضباط الآن أقوى بكثير منها في العصور الذهبية الإسلامية ، والعصور الوسطى الأوروبية ، ولا يتنافى هذا القول مع خيرية القرون الأولى فهي خيرية التقوى ، وتمثل روح الإسلام في الواقع بصورة لا يمكن بلوغها في الأعصر اللاحقة من حيث ((النوعية))؛ ولكن يمكن تحقيقها بنطاق كمي أوسع بحكم قوة وسائل الاتصال التي تقدمت كثيرا ٠٠وبحكم نمو التجربة الإنسانية أو الرشد الإنساني المستمر ؛ والذي سيلقي في نهاية المطاف مع الوحي جوانب كثيرة ٠

وعلى وجه التحديد :

- هل كان النظام الإداري (غير المركزي) سببا في تنمية الحركات الانفصالية ؟
- هل كانت الحرية الثقافية أو الا قتصادية للشعوب التي تضمها الدولة سببا في ذلك ؟
- هل أن ضعف العقيدة ومعاني التوحيد سبب في التمزق السياسي ؟
- هل ادت القيادات الضعيفة في تكوينها الروحي والعقيدي دورا في تمزيق الدولة ؟
- هل كان للشعوبية وبقية التيارات المعارضة أثر في ذلك ؟
- ما مدى إخلاص الخلفاء والوزراء والولاة وأصحاب مراكز القوى المتنفذين الأخرين لوحدة العالم الإسلامي ؟
- ما هو موقف الفقهاء الذين كانو ينظرون للدولة الإسلامية ؟
- ما هي الأفكار التي سادت الحياة السياسية والتي غذتها المدارس الفكرية ومؤسسات التعليم المتنوعة من كتاتيب ومساجد ومدارس على مستويات متباينة ؟
- ما هي وسائل الاتصال المتاحة لتثقيف الناس ونشر الوعي ومفاهيم التوحيد والوحدة؟
- ما دور تخلف الوعي في تمزيق وحدة العالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري ؟ وما دور التباين في المستوى الاقتصادي لأقاليم العامل الإسلامي في تفتيت الوحدة السياسية؟
- وما دور القوى المحلية ؟وما دور القوى الخارجية (الروم مثلاً) في تغذية الحركات الداخلية المقاومة للوحدة وللإسلام معاً ؟
- وما هي الصيغة المناسبة لإعادة وحدة العالم الإسلامي الروحية والفكرية والسياسية والاقتصادية من خلال دراسة الوحي ودراسة الواقع التاريخي؟
- ماذا يقدم التراث ودراساته لعالم اليوم ـ وللعالم الإسلامي المعاصر بالذات ـ في حقل الفكر والتجربة التأريخية؟
- لعل من أهم ما يظنه العديد من المؤرخين من إيجابيات ظهور الدويلات هو نمو الحركة الفكرية ؛ بسبب التنافس على العلماء وتقديم الإغراء المادي لهم للإلتحاق بهذ الدويلة أو تلك.!
- ولكن هل كان التمزق السياسي هو الوسيلة الوحيدة لإنعاش الفكر ؟
- وهل تخلف الفكر عندما كانت الدولة واحدة في العصر الذهبي ؟ وهل ظهرت مدارس الفقه المتنوعة إلا في العصر الذهبي؟وهذا الازدهار ينطبق على مجالات الحركة الفكرية الأخرى.
- إن ماحدث من ازدهار فكري في القرن الرابع الهجري هو ثمرة طبيعية للتطور التاريخي للحركة الفكرية، وكان يمكن أن يكون الازدهار اعظم لو صاحبته الوحدة السياسية، فلا يمكن لأجواء الفتن والحروب الداخلية وما تتطلب من نفقات اقتصادية وبشرية ان تدفع للازدهار الفكري.... إن الإسلام يوحد الطاقات الداخلية ويصرِّفها في حركة الجهاد..فهل كان لضعف حركة الجهاد اثر في نمو الحركات الانفصالية ؟
- ربما لم يكن استنهاض الأمة يتم بالقدر الكافي لمواجهة العالم الخارجي ؛ ويرجع ذلك إلى غياب الوعي أو ضعفه أو عجز وسائل الاتصال المتاحة آنذاك عن توجيه الأمة في العالم الإسلامي الفسيح....

- إن الوحدة الإسلامية تقوم أساساً على بناء شخصية المواطن المسلم ، وتعميق انتمائه للأمة الإسلامية ، وتجاوزه للوطنية والإقليمية والقومية وتمايزه عن الأممية والعالمية.
- والتعليم هو الوسيلة المثلى لصياغة هذه الشخصية ، وإن كان التعليم في المراحل الابتدائية والثانوية يغرس الإرث الثقافي للأمة ، فإن التعليم الجامعي يبلور ذلك ويفلسفه بسبب الارتقاء العقلي للطالب وازدياد قدرته على التجريد.

إن المطلوب من الجامعات الإسلامية إذن أن تقوي في نفوس طلابها الانتماء لأمة الإسلام ، وتكون شخصياتهم وثقافاتهم وفقاً للعقيدة والشريعة ...

- وقد كان التعليم الإسلامي في حلقات المساجد وبيوت العلماء في القرون الخمسة الأولى للهجرة ناجحاً في هذه المهمة ؛ فرسخ العقيدة والشريعة ونشر اللغة العربية في ما بين وراء النهر وطنجة... فهل تقوى الجامعات الإسلامية وإمكانياتها أكبر من إمكانيات العلماء في القرون الأولى ... والتحديات أمامها أخطر أيضاً - فهل تقوى على صياغة الشخصية وتحقيق الانتماء إلى الأمة الإسلامية ؟

المشكلة التشريعية

- الحاجة لتحديد دقيق لمنهج الاستنباط الفقهي المعاصر
- دعوة العودة إلى الكتاب والسنة – المطالبة بدعوة أخرى تتوازى مع السابقة وهي التحذير من الاجتهاد في دين الله دون علم ، ودون ضوابط أصولية ، ودون استكمال العدة اللازمة للمجتهد القادر على الترجيح (القرآن والسنة ، اللغة ، أصول الفقه ومصطلح الحديث ، الناسخ والمنسوخ ، العام والخاص) حيث يؤدي إلى فوضى كبرى في المجتمعات الإسلامية.
- لابد من مواجهة محاولات الأخذ المباشر من الكتاب والسنة بترشيد من العلماء (يتصفوا بسعة الدائرة العلمية ، وعمق الوعي الحضاري والورع والإخلاص لله تعالى ليحتضنوا الأجيال الصاعدة ، ويوثقوا صلتهم بها ، ويأخذوا بأيديها إلى منارات الإسلام ومعامل الحق والإيمان) والإفادة من التراث الفقهي الذي يوضح فهوم العلماء والمجتهدين الأفذاذ لهذه الآيات والأحاديث في عصور الاجتهاد.
- الحل:

التراث يقدم صوراً دقيقة لوسائل إعداد العلماء، ولمناهج العلوم الإسلامية ، ولأهداف التعليم وأساليبه بشكل نظريات شمولية في المدارس والجامعات الإسلامية، وقبل ذلك في حلقات العلماء في المساجد، ثم بشكل نماذج من العلماء من عصور مختلفة قاموا بمسؤوليتهم في طرح الحلول الشرعية " الأحكام الفقهية" لمشاكل مجتمعاتهم في عصور التاريخ الإسلامي المتعاقبة.

لعل من الوسائل النافعة التخطيط العلمي لبناء نماذج قوية رائدة تمثل شخصية " العالم المسلم "المتمكن من الأصول الشرعية، الواعي لتغيرات وثوابت العصر ، القادر على التصور وتمثل الوقائع الجديدة بمنظور الشرع.

إن إيجاد القيادة الدينية الواعية ضرورة دينية واجتماعية في الوقت الحاضر فإن تيار التلقي المباشر من الأصول والكتب دون ترشيد العلماء ودون منهج علمي متكامل سيستمر في زرع الفوضى والقلق في مجتمعاتنا. خاصة بعد نشر الكتب التراثية الكثيرة في العقود الأخيرة دون تحقيق علمي ودون بيان الصحيح والضعيف والموضوع من الأحاديث ،ودون بيان الراجح من الأقوال المتعارضة في التفسير والأخبار والتاريخ مما يولد مشكلات جديدة وصعوبات فائقة للباحث في التراث الإسلامي وقد يبنى كلاماً طويلاً على رواية ضعيفة أو موضوعة وهو لا يدري.وقد وقع في هذا كتاب كبار كان لهم أثر في توجيه القراء منذ مطالع هذا القرن مثل طه حسين والعقاد وبنت الشاطئ.

المشكلة الثقافية

- انحراف المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية والدعوة إلى إحياء المنهج الإسلامي في البحث العلمي. وهو منهج ينطوي في ظاهره على العلم والموضوعية والتجرد وباطنه التعسف والجهل والتعصب.

- **الدعوة إلى إحياء منهج البحث الإسلامي (البحث التجريبي) منهج الاستقراء والاستدلال وهو موجود عند علماء أصول الفقه ومنهج الرواية الحديثية عند علماء الحديث و طبق على نطاق واسع عند علماء التاريخ المسلمين بوجه عام.والسبب في تقدم الغرب هو اعتماد منهج الاستقراء الإسلامي بدلاً من الاستنباط والقياس اليوناني.**

<u>عجز منهج البحث الغربي وانحرافه:</u>

انحرافه عن احتواء الإنسان والنظرة الشمولية إليه ، من حيث إنه روح ونفس وعقل... فهذه الجوانب لاتخضع للاختبار .
أمثلة ذلك التفسير الاقتصادي الماركسي ، والتفسير الحضاري (التحدي و قدرة الإنسان على الاستجابة) لتعليل ظهور الحضارات ، التفسير الجغرافي (أثر البيئة والمناخ) ولم تعد النظرة إلى الإنسان تتسم بالشمول الذي امتاز به الإسلام.

<u>ومن عوامل انحراف المنهج الغربي في التطبيق:</u>

نزعة الاستعلاء عند التقويم الموضوعي للحضارات الأخرى وجعل الحضارة الغربية مقياس التقويم وبالتالي بخس حق حضارتنا المجيدة عن عمد بإظهار السلبيات وإخفاء الإيجابيات بالمنهج الاستشراقي (عقيدة وشريعة وتاريخاً وحضارة)

<u>موقف علماء المسلمين من منهج البحث الغربي الآن :</u>

- **العودة إلى منهج البحث الإسلامي الأصيل ،وتطويره مستفيدين من منهج البحث الغربي فيما يندرج تحت قواعد الإسلام ومنهجه.**
- **والمنهج (الإسلامي) يرتكز على الإيمان بالله وعالم الغيب والشهادة، ويقر بالإرادة الإلهية ، ويعترف بالجوانب الروحية في الإنسان ، ويقوم على الموازنة بين المؤثرات الروحية والاقتصادية والمناخية والحضارية دون أن يلتزم بعداً واحداً.**
- **وهو بعد يراعي الفطرة ، والغرائز ،ويتسم بالموضوعية والبعد عن العصبية والاستعلاء العنصري، وهذه السمات تميزه عن منهج البحث الغربي ،وتجعله يتفوق عليه.**

<u>نحو منطق إسلامي حديث:</u>

استيحاء التراث لتكوين المنظومة العقلية لمنهجنا الفكري؛ مستمدين ذلك من الكتاب والسنة ومناهج الأصوليين والفقهاء والاستفادة من أية قاعدة عقلية لا تخلفهما (أي القرآن والسنة)أياً كان قائلها.
والمنظومة العقلية البديلة موجود أساسها في التراث متمثلة بصورة خاصة في أصول الفقه ، وفي منهج الفقهاء ، خاصة ابن تيميه في (نقض المنطق) ،و الرد على المنطقيين) ، ومجموعة الفتاوى)

<u>مهمة المفكر والإستاذ الجامعي</u>

لا تقتصر على القدرة على توصيل المعلومات للطلبة بصورة صحيحة ، بل تتعدى إلى القدرة على البحث العلمي في مجال تخصصه، والتمكن من الإضافة إلى المعرفة ؛ بحيث لا ينقطع عن التحصيل والعطاء طيلة حياته ، وبذلك وحده يكون قادراً على التجديد في محاضراته والإضافة إلى معلوماته.فالمهمة ليست تعليمية فقط بل تربوية تسعى لإضفاء المسحة الثقافية على الطلبة ،والتأثير في سلوكهم ،وعاداتهم ، وطرق تفكيرهم، فتكسبهم النافع وتحذف منهم الضار ، وتقومهم فكراً وسلوكاً وهذا يتطلب أن يكون الأستاذ مؤهلاً تربوياً إلى جانب تأهيله العلمي الأكاديمي.

<u>البحث والتأليف والحاجة إلى دراسة نقدية</u>

إن البحث والتأليف في العلوم الإسلامية خلال القرن العشرين يحتاج إلى دراسة تقويمية ونقدية شاملة عن هذه الأسئلة:-

- **ما مدى اهتمام هذه البحوث الدراسات بالمشكلات العملية التي تواجه المجتمعات الإسلامية؟**
- **ما هي الجوانب التي ركزت عليها ، وما هي الجوانب التي أغفلتها ؟**
- **ما هي الجوانب التي أشبعتها ، وما هي الجوانب التي لاتزال بحاجة إلى بحث؟**
- **ما مكانتها العلمية بين أنماط الدراسات المماثلة أو المقابلة عالمياً؟ هل هي مواكبة في المستوى للحركة الفكرية العالمية؟**

- **ما مدى التزامها بالمنهج العلمي ، في الأسلوب والتوثيق ؟**
- **ما نسبة التكرار فيها؟**

التراث ومشكلة هجرة العقول

- **حافظ المجتمع الإسلامي في القرون الخمسة الأولى للهجرة على أصحاب العقول المبدعة والمهارات المتفوقة في شتى ميادين الحياة، وكان العلماء أحراراً في التجول في أرجاء الدنيا طلباً للعلم وزيادة في الاطلاع،ولكن لم يحدث قط أن اختار عالم كبير البقاء الدائم خارج العامل الإسلامي، ولايمكن القول بأن عناصر الجذب لم تكن موجودة في بلاط البيزيطيين في القسطنيطية، أو في بلاط اللاتين في فرنسا - على الأقل في علوم الطبيعة - ولكن قوة الشعور بالانتماء للأمة ، والتمايز الواضح ثقافياً وحضارياً وشعورياً بين عالم الإسلام وما وراءه ، ومكانة العلماء في الإسلام تلك المكانة التي قررها كتابه الأول " القرآن الكريم "وجاءت السنة تؤكدها وترسخها ، واستقرار هذه المعاني في نفوس عامة الناس وخاصتهم - فجميعهم يحترم العالم ويعترف له بالمكانة ، بل وكثير من معارفه يتطوعون في خدمته ودعايته وقضاء مصالحه دون مقابل - كانت أسباباً في لزوم العلماء المسلمين دار الإسلام.**
- **كما أن العالم لم يجد أمامه قيوداً فكرية تمنع البحث العلمي الخالص أو تجد من مجالاته ... سواء اتصل بعلوم الشريعة أو الآداب أو الفنون والصناعات .. فقد حظى أرباب الفنون جميعاً بمكانة اجتماعية طيبة ، ولقوا رعاية وتشجيعاً ومكافآت سخية من حكام عصرهم ، ونظراً لاجتماع هذه العقول المفكرة وكثرتها في كل فن فقد ظهرت التيارات الفقهية والنحوية والأدبية والعلمية المتنوعة، وانتشر التعليم وأسست المدارس التي تطورت إلى الجامعات التي تعتبر أقدم الجامعات في العالم.**
- **وكان من النتائج المبهرة اهتماماً بالأدب وتذوقاً للغة وللأساليب ... ونتاجاً واسعاً يحظى الكثير منه بعناية النقاد ، حياة اجتماعية مزدهرة رسخت نظام الأسرة كما حدده الإسلام،ووثقت عرى الروابط بين أبناء العشيرة والقبيلة والمحلة والفردية والمدينة والقطر والعالم الإسلامي كله بشكل دوائر متداخلة بؤرتها الأسرة ، وفيها تقوى التزامات التكافل وتشتد ثم تخف كلما اتسعت الدائرة .... ولكن العلاقات تبقى دائماً منضبطة في دائرة الأخوة وتحريم العصبية والتناصر في الظلم وإقرار العدل والتكافل بين المؤمنين .**
- **وبالنسبة <u>للناحية الاقتصادية</u> نجد أن منطقة السواد قد تحولت إلى بقعة خضراء مرتبطة بشبكة ري معقدة ... كما نلاحظ التعقيد في هندسة الري في حدائق قصر الحمراء بغرناطة التي تعرف اليوم " جنراليف " كما أن مبادىء العدالة التي تضمنتها السياسة الاقتصادية لعبت دوراً في التقدم الزراعي والصناعي .**
- **كما أن فكرة الاهتمام بعنصر الوقت إضافة إلى استشارة الإنسان لإعمار الأرض والإفادة من تسخيرها له ، وتهيئة الظروف النفسية والاجتماعية والمادية للعلماء يشكل بعداً إيجابياً عظيم الجدوى في تراثنا،وهو جانب لم يتم استقراؤه بدقة وعمق حتى الآن ..... رغم أن الأمة تواجه نزفاً خطيراً في العقول الذكية والكفاءات العالية التي استمرت في الهجرة إلى الغرب (أوروبا والولابات المتحدة) منذ عدة عقود .. ولاتزال تتصاعد بقوة بسبب ظروف العالم الإسلامي الدافعة للهجرة من ناحية ، وظروف عالم الحضارة الغربية الجاذبة لأصحاب الكفاءات العالية ممن تعبت بلدانهم في تعليمهم في المراحل الأولى ، ثم الإنفاق عليهم في المراحل العليا، وهم يبتعثون للحصول على الماجستير أو الدكتواره أو التخصصات الدقيقة.**
- **وبالجملة فإن تقوية الجذور بالحضارة والثقافة ، والتأكيد على ملامح الذات التي يحدد التراث قسماتها يقدمان حلولاً كثيرة لمشكلاتنا الحضارية والثقافية، وما تناوله ليس إلا غيضاً من غيض ، وإلا فما أكثر القيم الحضارية والحوافز الخلقية التي تحتويها كنوزنا التراثية، والتي تنتظر الباحثين الأكفياء يجلونها وينظرونها ويفيدون منها في بناء المجتمع الإسلامي الحديث.**

تلازم التربية و التعليم

لقد تربت أجيال المسلمين الأولى على أيدي العلماء الذين كان إسهامهم في توجيه المجتمع وتحصينه من المؤثرات الرسمية في معظم مراحل التاريخ الإسلامي، وإن كانت القوتان تتحدان التربية والتعليم في تحقيق هذا الهدف في مراحل معينة كعصر الراشدين.

أمثلة على ذلك:

- **ابن مسعود في الكوفه ودوره في نشأة مدرسة الحديث الكوفية**
- **أبي موسى الشعري وبناء مدرسة القراءات البصرية**
- **عامر الشعبي بمكة المكرمة وسعيد بن المسيب في المدينة المنورة والحسن البصري ومحمد بن سيرين في البصرة وغيرهم من بعدهم قاموا بدورهم الذي مكن للإسلام في قلوب الناس وفي ديار الإسلام معا. منع أحمد بن حنبل بوقفته المشهورة سريان الانحراف في العقيدة معرضاً نفسه للخطر ...**
- **وكان ألوف الناس يتوبون على يد " ابن الجوزي " ببغداد ،و يعلن العشرات إسلامهم إثر كل خطبة يلقيها في جامع المنصور ،ويقف " ابن تيميه" وقفته المشهورة في الجهاد بالعلم وباللسان لمقارعة البدع والانحرافات ، وبالنفس لصد غزو التتار.**
- **ولايخفى دور " العز بن عبد السلام " في تهيئة المجتمع الإسلامي أمام الغزو المغولي .. هكذا تتوالى الأجيال ،ومعها العلماء والقادة المربون يحفظون لها هويتها بإحياء معالم السنن.**
- **إن دور العلماء في بناء المجتمع الإسلامي أساسي وفعال ،و إن الأمة اليوم تتعرض لأعتى أنواع الغزو في مراحل تاريخنا الثقافي والحضاري ، وهي بحاجة إلى وقفة مشهودة من علمائها لمنع انحراف الأجيال الإسلامية المعاصرة عن الإسلام عقيدة وشريعة.وإن نعمة الإيمان من أجل النعم التي أنعمها الله على المسلمين ، فما ينبغي التفريط بهذه الأمانة الثقيلة ، قال تعالى :" ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار" (إبراهيم :٢٨)**

التربية بالقدوة

- **إن القدوة الحسنة هي أمثل الطرق لتربية الأجيال الإسلامية وهي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وطريقة الصحابة والتابعين والأتباع ومن بعدهم من جهابذة العلماء ، وإن العناية بتربية الطلبة وتوجيههم ،ودعم إبقائهم بمعزل عن الأساتذة هي أكثر الطرق فعالية في التأثير على سلوكهم وتقوية صلتهم بالله وبتعاليم وذلك لأنه لا حياة للعلماء إلا وسط طلبة العلم، يعلمهم السلوك ، ويربيهم على تعاليم الإسلام ،ويثقف عقولهم بالقرآن والحديث وفقههما ،ويجعل الموازين الإسلامية مقياساً لم في كل أعمالهم وأقوالهم.**
- **والثقافة ليست حشداً للمعلومات ، بل هي تفاعل بين الإنسان و العقيدة والفكر ، يظهر أثره في السلوك... فقد يحفظ الإنسان معلومات كثيرة ولكن سلوكه الاجتماعي غير مقبول ، فنظرته للآخرين فيها استعلاء واحتقار ،وتقويمه للمواقف مبني على " الأنانية " وحب الذات ،وتذوقه " للجمال " ضعيف يدل على بلادة المشاعر وضعف الإحساس ،وكلامه خال من المعاني الرقيقة والمشاعر الطيبة ، ولاتظهر فيه آثار المعلومات التي يكنزها ؟ فمثل هذا ليس مثقفاً بل هو جهاز " كمبيوتر " من نوع بسيط ورخيص لقدرته المحدودة على الاستيعاب والحفظ.**
- **يظهر هذا جلياً في نصيحة أم المحدث المشهور سفيان الثوري بأن يربط بين العلم والسلوك ،وإلا فلا نفع للعلم دون العمل. قالت :" يا بني خذ هذه عشرة دراهم وتعلم عشرة أحاديث، فإذا وجدتها تغير في جلستك ومشيتك وكلامك مع الناس ، فأقبل عليه وأنا أعينك بمغزلي هذا وإلا فاتركه ، فإني أخشى أن يكون وبالاً عليك يوم القيامة" فالثقافة ينبغي أن تغير في الجلسة و المشية والكلام .. يعني" السلوك" وإلا فهي تزيد مسؤولية صاحبها في الآخرة ، وقد تكون وبالاً عليه في الدنيا أيضاً ، فلن يجد مردوداً اجتماعياً وأدبياً يعادل " ثقافته العالية " حسب تصوره – والتي ينبغي في رأيه – أن تؤدي إلى**

تصدره !! وللأسف فإن ما فطنت إليه المرأة المسلمة في مطلع القرن الثاني الهجري لايزال خافياً على كثير من المتعلمين في هذا العصر وكانت النتيجة أن سفيان طلب العلم حتى روى عنه عشرون ألفاً من الرواة.

ضوابط الانفتاح على الثقافات العالمية

- الكتاب والسنة أهم مصدرين لثقافة المسلم ، فهما يحددان نظرته إلى الكون والحياة والإنسان ،ويمنحانه المقاييس الدقيقة لمعرفة الخير والشر، وعنهما يصدر في كل أعماله وأقواله ، وبهما يحكم على الأفكار والنظريات والنظم والقوانين وكل ما ينتجه العقل الإنساني في مراحل تطوره الطويل.
- والمسلم المعاصر يقف أمام مكتبة ضخمة هي نتاج العقول المفكرة في مختلف العصور والأماكن ، تضم ما خلفته الحضارات العالمية في التاريخ الغابر وما يضيفه المفكرون المعاصرون في مختلف المجالات الفكرية والعلمية ، وكثير من هذا النتاج يتعلق بالعقائد والنظم والأفكار والفلسفات ... فلوا انغمر المسلم وسط هذا الركام قبل أن ينال قسطاً وافراً من ثقافة الكتاب والسنة فإن عقله يمتلئ بها ، وذهنه يزدحم ويصعب عليه تمييز الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والسمين من الغث وقد يتبنى أفكاراً باطلة ، ويعتنق عقائد فاسدة، وتنطمس شخصيته الإسلامية وينحرف فكراً وسلوكاً عن الإسلام فيبدل نعمة الله كفراً.
- فالنبي عليه الصلاة والسلام نهى المسلمين أول الإسلام عن الاستقاء من غير الكتاب والسنة موضحاً أنه جاءهم بالشريعة الواضحة الخالصة من الشرك والشبهات ، المصونة عن التبديل والتحريف ، التي فيها غنى وكفاية عما سواها من العقائد ، إذا كان لابد من وضوح الفكرة وصفاء العقدية واستقرار المقاييس والمفاهيم ؛ فلما وعى المسلمون دينهم في صدر الإسلام ، وتفتحوا بعد ذلك على ثقافات الأمم وأديانها وعقائدها وجعلوا الإسلام حكماً عليها، فكانت دراسات الأديان المقارنة التي قام بها مؤلفو كتب الفرق ، كابن حزم ، دليلاً على استعلاء الإسلام على ما سواه.
- وعندما يعي المسلمون دينهم ويفقهون كلام الله ورسوله فإن الإسلام يظل مهيمناً على ما سواه من أفكار ومعتقدات ونظم،وحكماً عليها لأنه من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ...) (آل عمران :٨٥)

مبدأ تراكم المعرفة

- ان تراكم المعرفة يحتاج إلى التخطي بحيث يبني اللاحق على السابق ، ويضيف المتأخر على المتقدم ، وبذلك تتراكم المعرفة ويحصل التقدم العلمي،لقد أضاف علماؤنا القرون الخمس الهجرية ثم كانت نسبة التراكم العلمي ضئيلة إذا ما قيست بطول الفترة (تسعة قرون)وتمثلت مع كثرة المصنفات في التقليد والاقتباس والشرح اللفظي ، والتلخيص لأمهات كتب العلوم بشكل تعليقات تعطي للطلبة.
- ولكان كانت هناك ثمة إضافات علمية واضحة تؤكد العمق والتجديد فالغزالي أضاف إلى علم أصول الفقه في كتابه _ شفاء العليل) حيث توسع في مسالك العلة بحيث قدم كتاباً ضخماً يوازي حجمه كتب أصول الفقه الشاملة التي تتناول سائر المسائل الأصولية، مع أنه يركز على جانب واحد من هذا العلم.

ما قدمه ابن رجب من إضافة إلى علم مصطلح الحديث في كتابه (شرح علل الترمذي) عندما قَعَّد القواعد النقدية للوصول إلى العلل التي تضعف الأحاديث النبوية.

- وهناك نماذج أخرى ، مثل: الأعمال نقدية للحافظ الذهبي ، وللحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهما ....
- عمل الذيول على الكتب هو نمط يوضح الانتباه إلى التكامل في الأعمال العلمية وعدم التكرار وإضاعة الجهود،و هذا واضح في المؤلفات التاريخية مثل: " ذيول تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي.

صفات الناقد

- **لاشك إن غياب حركة النقد أدى إلى فوضى فكرية تتمثل في ضياع مقاييس التقويم ، وكثرة التكرار في الأشكال المضامين ،وغلبة السطو الدبي من " الجدد " على "القدامى "ومن " المبتدئين " على " الراسخين"واختلطت الكتابات الغثة المتهافتة بالأعمال المبدعة الأصيلة. وتحكمت المقاييس الكمية.**
- **النقد ملكة وفن وخلق، فلابد من وجود الاستعداد الكافي إلى جانب التشبع بالدراسات النقدية، وبالمقاييس التقويمية، وذلك للقدرة على تذوق العمل الأدبي والفكري ثم الحكم عليه بإنصاف واعتدال دون إفراط أو تفريط ، ودون التأثر بالعلاقات الاجتماعية والمجاملات الشخصية منها والعامة ، مثل: مجاملة الرأي العام والتجاوب مع اتجاهاته.**
- **إن النقد في مجتمعنا يحتاج إلى النقاد الذين يجمعون بين القدرة الفنية وقوة الشخصية للتمكن من تخطي الظروف الصعبة التي تلوي الأعناق بالترغيب مرة والترهيب أخرى لعدم الجهر بالرأي الحر ، والحكم المجرد ، والتقويم الدقيق .. خاصة ونحن في بداية الطريق.**

تذييل بأهم نقاط كتاب قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي

- **الحديث عن قيم المجتمع الإسلامي من منظور تأريخي ينبغي أن تتقدمه دراسات تقويمية وقيمية كثيرة تغطي شرائح اجتماعية عديدة لفترة تاريخية شاسعة الامتداد في الزمان المكان الذي أثرا فيهما الإسلام.وتقوم باستقراء واسع وعميق لتفاعل القيم المطلقة مع حركة الإنسان في التأريخ لاكتشاف إيجابيتها وقدرتها على إمداد الإنسان والحياة بالمعنى او الوعي لوجوده ومسؤوليته.**
- **وقد هيمنت التربية الإسلامية في القرون الأولى على جماهير غفيرة من الأمة الإسلامية وتكونت " النخبة "في عصر السيرة والراشدين وفق مفاهيمها وقيمها وأنماطها السلوكية.**
- **الطرح الجزئي للمسألة الدينية هو الغالب على الساحة الإسلامية حتى الوقت الحاضر بتغليب بعض الحقوق والواجبات على حساب البعض الأخر ودون محاولة طرح متوزان للعقيدة والشريعة والآداب ضمن أطار فكري واضح يرسم مسار الحياة الإسلامية وأطرها وأنماطها الصحيحة إلا بنطاق محدود.ليس المقصود انتقاص موقف النخبة المسلمة التأريخي ، بل ان التحليل التأريخي لهذه الشريحة لازال بحاجة إلى دراسات كثيرة.**
- **اتهام أسلافنا بانهم لايمتلكون الرؤية الشمولية والمؤسسات الناضجة التي تحقق أهداف الإسلام في الحياة ، فقد عملوا جهدهم ظروف تأريخية معينة ، لكن هذا لايمنع بالطبع تلمس جوانب الضعف في مسيرتنا التأريخية .. والبحث عن جذور المشكلات الحضارية المعاصرة.**
- **دراسة الرأي العام ومدى فاعليته خلال التاريخ الإسلامي تحتاج إلى أطروحات عديدة تجمع الأسباب الظاهرة وتجلي العوامل الخفية غفي فاعلية وركود الرأي العام الإسلامي عبر التاريخ.**
- **التوجهات المبكرة نحو الشورى والحفاظ على كرامة الإنسان ، ومشاركة الجمهور في السلطة السياسية انتكست في مرحلة الدولة الأموية والعباسية حيث لم تظهر مؤسسات واضحة لتطبيق مبدأ الشورى في الحكم والسياسة، وإن مورست الشورى في نطاق محدود ، إذا كان الخليفة يستشير شيعته وأصحابه وزيره وقائد جيشه .. كما ان البيعة استمرت تؤخذ من أهل الحل والعقد لولاه العهد وللخلفاء باعتبارهم ممثلين للرأي العام ، ولكن لم يحدث ان تعين رجال الحل والعقد عن طريق الرأي العام ، كما لم يكن لهم سوى إبداء الرأي دون أي الزام للسلطة...**
- **إن دراسة تاريخنا ينبغي أن تقترن بالمعايير الخلقية الدينية،وإن يتم الحكم على الفعل التاريخي من خلال قيم مطلقة ثابتة بعيدة عن التأثر بمقولات الغربيين حول نسبية الأخلاق، وما يستتبع ذلك من تسليم بأن المؤرخ ليس قاضياً ولاحكماً ،وبأنه لاجدوى من الاعتبار والقياس لأن التاريخ لايعيد نفسه كما يرى هيجل.**
- **التأكيد في دراسة تاريخنا السياسي على الجوانب الإيجابية من الشورى والحرية والكرامة الإنسانية وانتقاء عهود الاستبداد والطغيان لابد ان يولد الاتجاه السليم المتفق مع العقيدة والشريعة.**
- **رفض تحكيم المعايير والقيم الخلقية في الدارسة التأريخية بحجة النسبية والتغيير الذي يلحقها وبحجة ان التأريخ لايعيد نفسه لابطال القياس أفضى إلى مهزلة خداع البشرية والمطلوب التسجيل الموضوعي للمنجزات المادية للعصور وعرضها ضمن الصورة الكلية والتي تبرز في تفاصيلها صور العذاب المقيت الذي عاناه الإنسان في عصور التأريخ بسبب الاعوجاج في مستوى العلاقة بين الحاكم والمحكوم.**
- **إذا كان للنخبة القائدة أثر خطير في ترسيخ الواحدة ودفع عجلة التقدم فيلزم أن ندرس كيف تكونت " النخبة " السياسية والفكرية في الدولة الإسلامية.**
- **ماهي القيم التي تشبعت بها قبل أن تتولى السلطة وخلالها.**
- **المؤدبون أثروا في تكوين " النخبة السياسية" الثقافي والديني**
- **العلماء اثروا في " النخبة الفكرية " فما هو أثر النخبة السياسية لا تنحصر في الخلفاء بل تتعداهم إلى القيادات الأخرى من وزراء وسلاطين وقادة عسكريين وكبار موظفي الدولة الآخرين.**

- **دراسة تاريخ " النخبة " مهم لموقعها الخطير وتأثيرها العميق في التوجهات السياسية والعقدية للدولة والمجتمع ولا ينبغي ان تنحصر النماذج في عصر السيرة والراشدين بل ينبغي ان تشمل سائر مراحل تاريخنا من الوزراء المثقفين نظام الملك من السلاطين ملكشاه ونور الدين محمود ، صلاح الدين الأيوبي اثروا في تاريخنا السياسي تأثيراً إيجابياً عظيماً وحركوا الرأي العام نحو أهداف إيجابية تحمى الوحدة وتعزز القوة في مواجهة الغزاة.ولا يمكن ان نتجاوز تقويم الشخصيات التي أثرت بصورة إيجابية في مسيرتنا أمتنا .. كما ينبغي بيان الأثر السلبي لخلفاء وزراء وعلماء أعاقوا التقدم واستغلوا مواقعهم للأثراء والتمتع الرخيصين.**

ملخص لأهم نقاط كتاب الإسلام والوعي الحضاري

- " وإذا كان الإسلام هو الأمل الوحيد في خلاص البشرية من ضعف الرشد الديني ، وفقدان القيم الخلقية المطلقة ، وغياب نظرية واعية عن علاقة الإنسان بالكون تعطي الوجود معنى وقيمة ، ومن بدائية التفكير الاجتماعي، فإن قائد عملية التغيير هذه لن يكون سوى المسلم الواعي بأهداف الرسالة الإسلامية ومضامنيها ،و القادر على تحليل واقع المجتمعات الحديثة مع الاجتهاد في طرح الحلول المناسبة لها عن طريق الاستنباط من نصوص الكتاب والسنة مع الاستعانة بالتراث العقدي والتشريعي الهائل الذي وصل إلينا من عصورنا الذهبية في قرون الأولى "
- إن فساد نظام العالم وحده لا يكفي لتغييره ، بل إن وعي الإنسان لفساد نظام العالم لا يكفي لتغييره ، بل ثمة شرط ثالث مهم هو ظهور القيادة الجديدة لعالم اليوم متمثلة بالنخبة المسلمة المصطفاة لقيادة القافلة البشرية نحو الأمان.
- إن من الضروري ابتداءً الإحساس بالأمن الثقافي الذي يعتمد على الاعتزاز بالذات ، والتأكيد على الهوية الثقافية،والوقوف الشامخ أمام بقية الحضارات دون رهبة أو استحياء . إن الإيمان الصادق وحده يكفل تحقيق هذا الموقف.
- وهذه الدراسة محاولة للكشف عن القيم الحضارية في القرآن والسنة مع شواهد وأمثلة من واقع التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،وهي توضح مدى العمق والشمولية والواقعية الإيجابية والصدق والفطرية في تلك القيم التي تمتلك قدرة التأثير المطلق في الزمان والمكان لأنعها نابعة من الوحي الإلهي ، أي من خارج المكان والزمان ، ومن هنا كان إطلاقها وعدم نسبيتها وهو ما يبحث عنه الإنسان في الشرق والغرب من عالمنا المعاصر.
- "إن أهمية القيم الإسلامية تنبع من كونها مطلقة وليست نسبية لا تتأثر بالمكان والزمان ولا بالمصالح ،ولا تتكيف للأحوال والمتغيرات ، فهي نابعة من العقيدة الدينية ... عقيدة التوحيد ،وليست نتيجة أعراف متطورة وتجارب إنسانية متقلبة ،وهذا هو سر دوامها واستمرار أثرها ، فهي قديمة قدم التوحيد ، باقية بقاءه:
- " كان الناس أمة واحدة بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"
- لقد بين القرآن الكريم في هذه الآية أن الناس كانوا موحدين ابتداءً ولكنهم انحرفوا عن التوحيد وتشعبت بهم المسالك، فأرسل الله الأنبياء يبشرونهم وينذرونهم ، وأرسل معهم الكتب السماوية تبين معالم الحق والخير وتحدد المثل والقيم الخلقية وضوابط السلوك الاجتماعي السليم،وأسس العدل السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. وبذلك يضيق نطاق الاختلاف بين الناس لأنهم يخضعون لضوابط عامة معترف بها. كذلك لم يختلف جوهر الرسالة من نبي وآخر وإن اختلفت بعض أحكام الشرائع التي جاؤوا بها لتوافق ارتقاء الحياة البشرية وتطورها حتى جاءت الرسالة الخاتمة التي بعث بها محمد.
- إن فكرة النقيض الهيجلية لأن تحظ باهتمام في الفكر الإسلامي لأنها لا تصلح تفسيراً لحركة الفكر بإطلاق، كما أنها تحكم بتغيير مستمر شامل لا يدع ثمة قيماً وأفكاراً ثابتة .. وكذلك وليدتها " المادية الجدلية " التي ركزت على عالم الاقتصار والاجتماع بدل عالم الفكر مستفيدة من فكرة النقيض في عالم الواقع بدل الفكر، بل إن الفلسلفات المادية الأخرى من وجودية ووضعية وبراجماتية ونفعية كلها تؤمن بالتغير الدائم وبنسبية القيم الخلقية بل والدينية لأن الدين والخلاق - في رأيها - من نتاج الإنسان وثمرة فكر هو ليس من وحي السماء... فهو يخضع للتطور مثل بقية جوانب الفكر الإنساني.
- أما الإسلام فيقرر ثبات القيم الأخلاقية لأن مصدرها الدين وهو وحي إلهي يضبط السلوك الاجتماعي للبشر ويحدد أطر حياهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية ،ويدعهم يتطورون داخل هذه الأطر التي ترعى مصالحهم إلى أقصى الحدود وتحقق حريتهم في عمارة الأرض والارتقاء بالحياة دون انحراف عن المقاصد الخيرة والأهداف النبيلة

التي وجدت من أجلها الحياة والأحياء.... والعودة إلى الجذور واستكشاف الرؤى من مطلقات القرآن والسنة مع توظيف حقائق علوم الانثرولوجيا والآثار والاجتماع وعلم النفس في التعرف بعمق على الإنسان والحياة هو الطريق السليم لبعث ثقافة متميزة ذات روح جديدة تتفق مع روح امتنا وجذورها الممتدة بعيداً في أعماق التاريخ.

- وقد حرص الإسلام على تثبيت الاستقامة على الحق في نفوس اتباعه، فالحق وقيمه مطلق في الزمان والمكان ، فلا يتغير كما تتغير القيم الوضعية والأخلاق والعادات والأخلاق النسبية لأن مصدر ذلك الله ووحيه وليس الإنسان واجتهاده ، فسلطة التغيير والقدرة عليه ليست إلا لله وحده ،وقد أعلن الحق أنه أ كمل الدين وختم الوحي الإلهي فلم يبق إلا استقامة على قيمه الثابتة المطلقة.لا يقبل الدين المساومة والشروط فهو انقياد لله تعالى دون شرط،وهو استقامة على الطريق الحق دون انحراف والتواء مهما تغيرت الأحوال وتقلبت الأمور...

دين الفطرة:

- فالإنسان فطر على معرفة الله وحده وتوحيده ، وليس كما يزعم بعض مؤرخي الحضارات القديمة من انه تدرج من عبادة قوى الطبيعة والحيوان إلى عبادة الله نتيجة للتطور الحضاري والارتقاء العقلي. وقد نص القرآن الكريم على ان الناس كانوا غي البدء موحدين قال تعالى :" مكان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " أي أنهم كانوا على التوحيد فانحرفوا فبعث الله النبيين لإعادتهم إلى التوحيد والفطرة.
- وينبثق عن هذه الحقيقة الكبرى ،وهي فطرة الدين ن وانسجامه بالتالي مع الذات الإنسانية ،وخصائصها العقلية والنفسية ان تبدو التعاليم الإسلامية بأجمعها منسقة لطاقات الإنسان، فلا تعارض بين العقل والوحي ، ولا فصام بين الاعتقاد والسلوك ، ولا بين الأخلاق والعمل ، ولابين النفس والجسم ، ولا بين وجود الأجناس المتباينة الأعراق والألوان ،ولا بين الطبقات المختلفة في مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية ، ولا بين الجنسين الرجل والمرأة ، ولا بين الطبيعة والأحياء، فالكل متناسق لأن الكون متناسق ويتسم بنظام وغائيةٍ عجيبين فلا يكون أهم المخلوقات فيه وهو الإنسان معرضاً للتمزق والصراع والفصام.

توافق الوحي والعقل:

- ومع أن الاعتراف بمكانة العقل في الإسلام لم يؤد إلى الاشتطاط بحيث يعتبر العقل حاكماً على الوحي، بل وضع العقل في مكانه المناسب تحت سلطان الوحي وتوجيهه ،لئلا تتبدد طاقات العقل في عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) فينغمر في أبحاث سفسطائية عن الذات الإلهية لايكون لها اثر في عالم الشهادة . بل تنحرف بالإنسانية عن الدين الحق الذي لا يُعرف إلا عن طريق الوحي الإلهي.وحتى في نطاق فهم الوحي الإلهي لابد من ان يعمل العقل ضمن دائرة الوحي فلا يخرج على النص ولا يتمحل في فهمه ولايتعسف في تفسيره، ولا يتأوله بما يخرجه عن مدلولاته اللغوية الظاهرة إلى مدلولات بعيدة بحجة مصادمة الفهم الظاهر للعقل وقواعده.
- ومن ذلك إنكار أصحاب المنزع العقلي للمعجزات النبوية لأن العلم الحسي القائم على التجريب لايؤيدها إذ هو يؤيد إلا ما يقع تحت التجربة.... بتأويلها لتتفق مع منطق العلم السائد في مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر الإنساني (الفلسفة الوضعية في ذلك الوقت).كما فعل محمد حسين هيكل في كتابه " حياة محمد ".

الإسلام مصدر القيم الجمالية المادية والمعنوية:

- إن الإسلام وحده القادر على منح البشرية ما تحتاجه من القيم المطلقة التي لابد أن يكون مصدرها من خارج الإنسان، ليكون لها قوة الإلزام والقدرة على التأثير في الحياة الإنسانية ، والمتأمل في القرآن والسنة يجد عجباً ، يجد ثروة هائلة من القيم الخلقية والجمالية مفصلة بدقة ، محددة بإتقان... أضاف إلى ذلك كتب الرقائق التي ألفها علماء الإسلام المؤمنين كل ذلك يرسم مناهج تربوية سليمة تفعل فعل السحر فهي " تغرس الحب وتقتل الشر ،وتفجر الخير وتنمي الإحسان، وبها يمكن الخلاص من نماذج الإنسان المسخ(صنيعة المناهج المادية)،وتجاوزه إلى الإنسان

الصالح ، المرهف الحس ، المثالي النظرة ، المتسامح المتعاون، الاجتماعي المحسن ،الذي تشع نفسه بالرحمة والرقة ونداوة الطبع وقوة الإحساس ، القادر على العطاء الثر ، الباذل فسعاد الآخرين ، الراغب في ارتقاء الحياة إلى ارحب الأفاق وأسماها ، وليس كله إلا لمسلم الذي تربي على الكتاب والسنة وقيمها الجمالية السامقة" وبذلك كله تنتفي العصبيات والصراعات الطبقية والعنصرية والحزبية.

- لقد أوضح الإسلام القيم الخلقية خير توضيح ، وقد تكون للقيمة جوانب إيجابية لكن المبالغة فيها او استعمالها في غير محلها تحولها إلى قيمة سلبية ، قال رسول صلى الله عليه وسلم :" من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يبغض الله ، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة ، وأما التي يبغضها فالغيرة من غير ريبة ،وإن من الخيلاء ما يبغض الله ، ومنها ما يحب الله ، فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال ، واختياله عند الصدقة ، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي والفخر " البخاري ٢٥٨/١٠ مسلم ١٦٥٣/٣.
- إن قيم الإسلام ليست تجريدية ولكنها قيم حية توجهه سلوكه " أمام أحداث الحياة وتعينه على مواجهتها .." وبالتالي فإن "سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قدوة المسلمين تنبئ عن الاهتمام الكبير بالنظافة وحسن المنظر وانتقاء الألوان المناسبة لثياب الرجال"

<u>الجمال اللغوي وميزان القول:</u>

- اهتمام الإسلام بالكلمة شكلاً ومضموناً شكلاً بالبعد عن اللحن في القول ومضموناً بتحديد مسؤولية الكلمة وتأثيرها على الآخر والتشديد على الصدق والدقة في الكلام لأنه يساهم في " توجيه الفرد والمجتمع، وفي تربية الأجيال وفق نظرية معينة،ولتأثره في نشر السعادة والشقاء ،وتقوية الروح المعنوية وإضعافها ،ومواساة الضعفاء ،ومسح جراحات المعذبين،وإضفاء البهجة على النفوس،وتعليم الجاهل وهداية الضال،لكل ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : الكلمة الطيبة صدقة "

<u>جماليات السلوك واقتران القول بالعمل:</u>

- اقتران العلم بالعمل مبدأ أساسي في الإسلام حتى إن محدثاً كبيراً في القرن الخامس الهجري هو الخطيب البغدادي ألف كتاباً أسماه (اقتضاء العلم بالعمل) وليس من مؤلف في الأخلاق او في نظرية المعرفة عند المسلمين إلا وأبرز هذا الارتباط بين العلم والعمل. كما أبرز أن العلم عبادة ، وأن اقتران النية بطلب العلم لازمة ،وان للعلم والعلماء مكانة خاصة متميزة في المجتمع الإسلامي،و ان معادن الناس في التلقي متباينة،وأن مراعاة هذا التباين في التعليم ضروري .وأي استقرار للحياة الفكرية في تاريخ الإسلام سيوضح أن المعرفة لم تكن مقصورة على أعداد محدودة ولاطبقة خاصة ولامستويات محددة بل كانت المعرفة للجميع والعلم حق لسائر الناس وهو من أبرز مؤهلات الرقي والسيادة في المجتمع الإسلامي .. ياخذ منه كل امرىء قدر وسعه وحسب طاقته واستعداده، لا يحجبه أحد ولايمنعه سقف اجتماعي ولاتجده طبقة.. بل هو التعليم المفتوح لايعرف قيداً في الموضوعات ولا في الشيوخ والأسانيد ولا في الزمان والمكان وصدق الله العظيم " أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها " سورة الرعد آية ١٧.

<u>ضوابط السلوك:</u>

- أبرز القيم الضابطة للسلوك التي يربي الإسلام أتباعه عليها هي المفهوم الشامل للأمانة أمانة التكليف وما يترتب عليها من الثواب والعقاب أو كما رجحها الطبري في تفسيره من أن الأمانة هي الأمانات في الدين والدنيا وحقوق الله والناس.
- تغلغل مفهوم الأمانة عند الصحابة يظهر ذلك جلياً في رد الجند المسلمون مجوهرات العرش الساساني إلى بيت المال " فالأموال العامة لا يحل لأحد من العاملين عليها أخذ شيء منها دون علم الدولة التي هي المسؤولة عن مصالح المجتمع"

تورع العديد من الأفراد (في العصر الحالي) عن الأموال الخاصة وتساهلهم في الأموال العامة " بحجة أنها ملك للجميع وان لهم حقاً فيها" بين الرسول الكريم - علية الصلاة والسلام أن الأمانة ترفع من قلوب الرجال آخر الزمان تدريجياً مقولته إلى أبي ذر عندما طلب منه أن يوليه إحدى الولايات العامة أجابه" يا أبا ذر إنك ضعيف وأنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه فيها " مسلم ١٤٥٧/٣ حديث رقم ١٨٢٥ إذن "فالقوة والأمانة هما شرطا الولايات العامة. فمن وجد في نفسه ضعفاً فيها فليبعد عنها" يجرنا هذا إلى الحديث عن الخيانة فهي " تمحق البركة والرزق "

التجارة سبب من أسباب التقدم والازدهار فحث الرسول على الأمانة والصدق،ولأهمية الثقة بين المؤمنين في تحقيق التآلف والتعاون بينهم والوحدة والانسجام في الأقوال والأعمال شدد القرآن و السنة على أداء الأمانة والالتزام بالعهود والمواثيق حتى مع المشركين.

<u>تربية الضمير:</u>

- **يعتبر الوازع الديني ومحاسبة النفس عن طريق إرهاف الضمير من أهم ضوابط السلوك، والتعويل عليه أولاً قبل نظام العقوبات فقد أقسم الله بالنفس اللوامة والتي تدل على يقظة وتفتح الضمير.النظر في نية الأعمال ومدى مطابقتها للشرع وأحكامه. محاسبة النفس تقتضي " معرفة الله تعالى ومعرفة أوامره ونواهيه "، المحاسبة الدائمة والمراقبة المتصلة تمن المؤمن من"تنقية قلبه وخلاص نفسه من آثار الفتن وتجعله خالصاً من القسوة والأمراض، سليماً مخبتاً إلى ربه منقاداً لأحكامه ،مقبلاً على الطاعات كارهاً للشبهات ، مدبراً عن الشهوات.ويقصد بالمراقبة أيضاً " مراقبة أحوال القلب ومعرفة ما يعرض له من مرض ... ، فإن قلب المؤمن عرضة للتقلب والنفس أمارة بالسوء، فينبغي دوام إرفاد القلب بقراءة القرآن وإدامة النظر في كتب السنة وتراجم الصالحين لتقوى المعاني الإيمانية ويزداد اليقين وبذلك يقوى القلب على مواجهة الفتن ومغالبة الأهواء ومقاومة الشبهات والشهوات.**

<u>أنواع القلوب</u>

- **القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره.**
- **وأما القلب الأغلف فقلب الكافر**
- **وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر.**
- **وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح الدم ، فأي المادتين غلب على الأخرى غلب عليه.**

<u>الوعي بالزمن:</u>

- **معناه الوعي بالحياة والقيام بشروطها وأكد عليه القرآن والسنة و احترام الوقت يعتبر عامل من عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية ويتمثل ذلك اختراع الساعة المائية ، حفظ المواعيد والوفاء بها ، الصلوات الخمسة، أما نظرة الإسلام للفراغ فهي شمولية واسعة " فالمسلم عليه واجبات تجاه زوجته وأطفاله وأمته وقبل ذلك عليه واجبات تجاه ربه وهو إذا انتهى من عمله في المصنع أو المزرعة او الوظيفة ، فإن عنده الكثير مما ينجزه في أوقات فراغه من صلاة وتلاوة لكتاب الله وذكر يحيى قلبه وعلم يملأ عقله وفقه بتعاليم دينه وتعليم وتربية لأهله ودعوة إلى الخير والصلاح لجيرانه وأصحابه، فليست نعمة الفارغ بطالة وكسلاً ولا تزجية للوقت فيما لانفع فيه وإلا فإنه سيسأل عن عمره ماذا فعل فيه؟**
- **وفي نظرة إلى الواقع المعاصر في المجتمعات الإسلامية نجد بعض الأفراد يجد في جمع المال متناسياً" أن يحسب لأهله وأطفاله ،ودون ان يفكر في السؤال عنهم ، عن علاقاتهم وتحصيلهم العلمي ومشاكلهم .وما درى أنه يكسب " المال " ويخسر " الإنسان " الذي هو أثمن من كل مال ، وهل المال إلا وسيلةلإسعاد الإنسان وترقية حياته،فإذا ضاع الإنسان فما هو نفع المال"**

<u>تأكيد القيم الإيجابية المتفائلة:</u>

- ليس في الإسلام مكان لفكرة العبث الوجودي والتي جعلت الكثيرين ينهون حياتهم بالانتحار، لعدم اقتناعهم بجدوى الحياة ومكابدة صراعاتها،ولانتفاء الغاية منها في عقولهم وضمائرهم، فالإسلام حدد الغاية ونفى العبثية وطرد الضياع.إن الأمل بالله والرجاء بفضله ورحمته ،وحسن التوكل عليه والإنابة إليه، تمنع اليأس والقنوط والإحساس بالكآبة والضياع أو التمرد والعبث، أو الانقلاب عن عبادة الله إلى عبادة سواه.
- ومن القيم الإيجابية التي أكد عليها الإسلام المواساة وإدخال السرور على نفوس الآخرين، نهي الإسلام عن الطيرة وهي التشاؤم ، أكد على استحباب التفاؤل ، إشاعة السلام وإعلان المحبة بين الناس، الاعتناء بالمظهر والمنظر ، والاهتمام بالنظافة وطيب الرائحة، قبول الهدية من الطيب والريحان، نهي عن أكل الثوم والبصل عند دخول المسجد وأمر بلبس أحسن الثياب للصلاة، اختيار الأسماء الحسنة للأبناء.

<u>ميزان العمل:</u>

- دار فيه حول معنى التطفيف وأنه " لا يقتصر على وزن السلعة بل يسري على كل تعامل فيه أخذ وعطاء وفي كل قول وعمل، فالذي يستوفي حقه المادي والمعنوي وينقص في واجبه هو مطفف ظالم"

" كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون "

- وقد يبدو للغافلين عن أحسن السنن الإلهية والمنقطعين عن علم الغيب الذي اخبر به المصطفى – صلى الله عليه وسلم – أنهم يكسبون بتطفيفهم وظلمهم الشيء اليسير الذي يقتطعونه من السلعة التي يبيعون،أوالوقت الذي يختلسون من ساعات العمل في الوظيفة ، أو في أخذ الحقوق الزائدة وإنقاص الواجبات اللازمة ، ولكن المؤمنين بالغيب وما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من السنن يدركون معنى الحديث الشريف يرويه ابن عمر عند قراءة آية يوم يقوم الناس لرب العاملين سمعت رسول ال يقوله " يوم يقوم الناس لرب العالمين، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فمنهم من يبلغ العرق كعبه ، ومنهم من يبلغ العرق ركبتيه،ومنهم من يبلغ حِقْوَيه،ومنهم من يبلغ صدره ،ومنهم من يبلغ أذنيه، حتى أن أحدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع"
- عن ابن عمر قال :أقبل علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال:يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا ابتليتم بهن – وأعوذ بالله أن تدركوهن – لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا،ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم ينقصوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطرَ من السماء ولولا البهائم لم يمطروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيدهم،وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم "
- وهذه السنن التي يشير إليها الحديث مبيناً أنها لا تتخلف قد تعجز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية من الكشف عنها لأنها خاضعة لمنهج البحث في الحضارة الغربية وبالتالي فهي محدودة في مصادرها المعرفية بما يقع تحت دائرة الحس والتجربة شان العلوم الطبيعية.أما المؤمنون بالغيب فهم ينعمون بمصادر معرفية أخرى هي الوحي الإلهي وفيه علم الله المحيط بخلقه وقوانين الخلق والحياة وهي ما يعبر عنه القرآن بالسنن " ألا يعلم من خلق"
- ولو أن علم الاجتماع والاقتصاد نما في المجتمعات الإسلامية تحت ظل الوحي الإلهي لوصل إلى حقائق كثيرة ولدلل بإحصائياته وبحوثه على ظهور النتائج التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف عند مخالفة الأمر الإلهي.
- إن الحديث يوجه المسلمين إلى قوانين علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد ويفتح أذهانهم لاستقراء الأحداث وضم الجزئيات تحت قواعد كلية هي القانون الطبيعي أو الاجتماعي أو الاقتصادي وبذلك يستفيد عالم الشهادة من عالم الغيب.
- إن الانقطاع عن عالم الغيب يحد من طاقات الإنسان الكثيرة وينكفيء على دنياه حتى يظهر له بعض التجليات ، وربما تتأخر إلى الوقت خروجه من عالم الشهادة. في المقابل كان السلف الصالح موقنون بالوحي الإلهي كتاباً وسنة

فطبع ذلك سلوكهم وأثر في حياتهم غاية التأثير. فكانوا يتحرون الرزق الحلال ويدققون كثيراً فيه ،ويتورعون عن الحرام وما ذلك إلا أنهم أيقنوا بالبعث." يوم يقوم الناس لرب العالمين"

ميزان العلم:

- يمتلك المسلمون الرؤية الشاملة للحياة والإنسان بفضل الوحي الإلهي ، فالقيم والمطلقات والرؤية منبثقة من الوحي الإلهي وليس من داخل الإنسان وتجاربه المحسوسة (المادية) لذلك قسم الفقهاء المقاصد العامة للشريعة إلى ثلاثة أقسام وهي
- الضروريات والمتمثلة في حفظ الدين وحفظ النفس والعرض والنسل والمال والعقل
- الحاجيات التي لابد منها لتيسير الحياة وتحقيق المصلحة للعباد ورفع الحرج والمشقة عنهم مثل أحكام المعاملات المباحة التي لاتصل إلى حد الضرورة .
- التحسينات التي تحدد القيم الخلقية والجمالية مثل الآداب والتقاليد وكل ما ينمي الذوق الجمالي عند الناس.
- كان حفظ الدين أهم هذه المقاصد لأنه غاية الحياة وهدف الوجود الإنساني حيث يدخل الإنسان عالم الشهادة ويخرج منه دون إرادة خاضعاً للإرادة الكونية الإلهية في الخلق والموت ،ولكنه يحدد إرادته في الاختيار ضمن دائرة الشريعة ، وبذلك تبقى للحياة غاية ويبقى للإنسان هدف.ولا يسمح الشارع الحكيم بحفظ النفس على حساب الدين كالفرار من القتال، لن حفظ الدين مقدم على حفظ النفس ، كما لا يسمح بقتل النفس لحيازة المال..
- لقد استطاع سيدنا عمر بن الخطاب أن يعبر ببصيرة نافذة على سنن الاجتماع وقواعد الحياة عندما جاءه وفد من مصر مع ابنه عبد الله بن عمر يسأل " نري أشياء من كتاب الله عز وجل ، أمر أن يُعمل بها، لا يعمل بها!" حيث طرح عمر بن الخطاب عليهم السؤال هل طبقوا أحكامه في أنفسهم وجوارحهم ، وأقوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم وكانت الإجابة:اللهم لا : فتعجب عمر منهم فقال : ثكلت عمر أمه ! أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ؟ (أي بالصورة التي تفهمونها أنتم ، ولم تقيموها في أنفسكم باعترافكم). قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات وتلا قول الله تعالى " إن تجتنبوا كبائر ما تنهوا عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً"
- إذن فعمر رضي الله عنه فهم أن أحكام الإسلام متباينة في درجة الالتزام بها من قبل المسلم من الفرائض التي لابد من أدائها وهي الحد الأدنى لبلوغ الجنة (التوحيد وأداء الفرائض ولا يزيد عليها ولا ينقص) ولذلك قال الرسول إلى ضمام بن ثعلبة " إن يصدق دخل الجنة " ثم هناك المندوبات التي ترفع من درجة المسلم وتقربه إلى الله تعالى وهي باب واسع للارتقاء والصعود لا يوصد ولاينتهي. فعمر أوضح لهم أن المثل الأعلى يبقى فوق الإنسان يسعى إليه بكل طموح لكنه لابد ان يبقى دونه ليظل يتوجه بطاقته نحو أهداف خيرة متجددة.

الإسلام مصدر القيم الحضارية

- الربط بين المادة والروح فأصدق الشهود هم أنبياء الله لاتصالهم بالوحي وتلقيهم عنه، وهم المثل العليا في نظر الإسلام، وهم قادة روحيون ودنيويون، لم تؤد يقظة أرواحهم إلى غيابهم عن العلم المادي لذلك كانت أطروحة الإسلام عن العالم المادي وعلاقته بالغيب وعن الإنسان وعلاقته بالله ثم عن الإنسان وعلاقته بالمجتمع تمثل تفسيراً متكاملاً.

من قوانين الاجتماع وسنن النهوض والسقوط كما بينها القرآن :

- عدم شكر المنعم على نعمته والإغراق في الشهوات والشبهات و تنطمس معالم الحق والخير فتعصف الذنوب بالحضارة والأمة، وتقوم على أنقاضها أمة أخرى تقود الحضارة الجديدة.

" فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون"

" وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد"

- فشو الظلم وغياب العدل من الأسباب الموجبة لهلاك الأمم وسقوط الحضارات.

" وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين "

- الترف والفساد والطغيان من عوامل دمار الأمم وفناء الحضارات

" وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناهم تدميراً"

- تعليق عندما نقارن بين حال الصحابة وحال غيرهم ممن ملكوا الأموال وصرفوها في طريق الفساد والطغيان وحال الصحابة الذين صرفوها في طاعة الله وخدمة الناس ومصلحة العقيدة فأقاموا صرح العدالة والإسلام.
- وقد يظهر الترف والفساد وتتخف العقوبة عنهم فيشكك ضعيف الإيمان في صحة هذه السنة الاجتماعية، لكن القرآن الكرم يوضح أن العقوبة لها أجل لابد أن تبلغه الأمة أولاً" ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يتقدمون ساعة ولا يستأخرون "
- وقد يتشكك ضعيف الإيمان عندما يرى أهل الكفر يقودون العالم فيحسب أنهم وصلوا إلى القوة المادية الهائلة بسبب إلحادهم بالله ونبذهم للدين، وان تخلف المسلمين بسبب تمسكهم ببقايا الغيبيات واثر الديانة.فجاء القرآن يبين إحدى السنن في تداول الحضارات بين الأمم " وتلك الأيام نداولها بين الناس "وأوضح القرآن أن من أخذ بأسباب الرقي العمراني وصل ومن تخلف سقط قال تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما أنفسهم "
- ومن السنن التي أوضحها القرآن الكريم قانون التدافع والصراع بين الحق والباطل عبر تأريخ الإنسانية الطويل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم " ومن خلال الصراع يختبر الله عباده ويميزهم بالابتلاء " أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب"
- وبين أن المؤمنين إذا تميزوا بالثبات على العقيدة وأداموا ذكر الله ووحدوا صفوفهم واعتصموا بالصبر وتركوا البطر وحب الظهور فإن النصر حليفهم " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون " وقال تعالى " وكان حقاً علينا نصر المؤمنين "وأوضح أن الجهد الإنساني للمؤمنين هو الذي يحسم الصراع لصالح الإيمان لذلك شرع الجهاد " لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات وساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره عن الله لقوي عزيز " والنصر حليف المؤمنين مهما طال الصراع " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين"
- كما دعا القرآن إلى الاهتمام بالكشف عن قوانين الطبيعة واستقراء ظواهرها والوقوف عندها وقفة تأمل وتدبر واستشراف.
- مثل :البحث عن العلة والقانون الطبيعي ، الإتقان والإحسان في كل شيء ،
- واقع المسلمين بسلبياته هو نتاج تراكمات بعيدة عن روح الإسلام وان الإسلام يمكن ان يعلب دوراً في تحرير العقل من قيوده ، والنفس من سلبيتها، وفي بناء شروط النهضة الصحيحة التي لن تقوم بانتزاع المسلم من وسطه وانخلاعه من ذاته وتلفته من عقيدته مما يحدث الصراع بين جماهير المسلمين والنظم العلمانية ، فتضيع خلاله طاقات الأمة وتهدر إمكانياتها دون جدوى ،في الوقت الذي يمكن إحداث النهضة المنشودة وإقامة صروح الحضارة بالاعتماد على العقيدة الدينية التي تتلاءم تماماً مع إحداث نهضة روحية مادية معاً في إطار العالم المادي تحت معادلة دقيقة يصرح بها القرآن نفسه" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا"
- في حديثه عن القوة العسكرية عرج إلى صفات المؤمن القوي فقال "فلابد للمسلم أن يكون قوياً ليتمكن من تحقيق أهداف الإسلام في الحياة ، بل أن العبادة نفسها بمعناها الخاص من صلاة وصوم تحتاج إلى القوة البدنية إحسانها وأدائها على الوجه الأكمل.فضلاً عن الجهاد بالنفس وما يقتضيه من قوة الجسم وحسن التدريب على آلة الحرب والقدرة على رسم الخطط العسكرية وتنفيذها.

- حرص الإسلام على بناء مجتمع العدل والقوة قال تعالى" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره . إن الله قوي عزيز"

. يقول " لو أردنا تحويل هذا الشرح إلى لغة العصر لقلنا ان الأيدلوجية الصالحة زائد التكنيك فالأيدلوجية تحفظ البينة الاجتماعية متماسكة بعيدة عن التجزئة والتشرذم، وتمنحها ووحدة الحركة والتصميم والإرادة ، وتمنع ذوبانها في البني الاجتماعية المغايرة في العقيدة والفكر والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي ، والتكنيك يمنحها فرص التقدم على الآخرين ، علمياً وصناعياً، ليس من أجل إذلالهم واستعمارهم بل لإقامة العدل المطلق في الأرض بعد إقامته في المجتمع الإسلامي ثم لضمان استمرار العدل الذي أرسل الله تعالى الرسل صلوات الله عليهم لبيانه ووضع الموازين الحق له.

. يقول الإمام الماوردي في كتاب (أدب الدنيا والدين) :

" اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتئمة ستة أشياء وهي :دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح "

. فهو يكشف عن أسرار قيام الدولة وتماسكها ورقيها فالدين المتبع عنده هو الإسلام (الأيدلوجية)والذي يوحد أبناء الأمة على وحدة الروح والفكر والسلوك والهدف.فيمتنع الخلاف والشقاق وتزول الفرقة والشتات. والسلطان القاهر يتمثل في الحكم القوي المهاب الذي يحقق العدل وتكافؤ الفرص أمام الجميع (المسلم والكافر والذمي) وليس الحكم المستبد .إن العدل الشامل لا يتحقق إلا بتطبيق شرع الله تطبيقاً قائماً على الفهم الصحيح للكتاب والسنة والمعرفة الدقيقة بالواقع من ناحية وبمقاصد الشريعة الإسلامية من ناحية أخرى ، وهو أمر لا يتحقق إلا بتكوين العدد لمناسب من العلماء المجتهدين النابهين.

- أما الأمن العام فيبدأ من داخل النفس ثم يشع على المجتمع.ولايقوم إلا بالتربية الدينية الواعية والاهتداء بهدى القرآن والأمن داخل النفس يتحقق بالإيمان بالله ن والرضا بقضائه وقدره والإجمال في طلب الرزق.والأمن في المجتمع ثمرة العدل والتوزيع الاقتصادي السليم للثروة وتكافؤ الفرص أمام الجميع ، فلا تبقى ثغرة أمام النفوس الضعيفة والعقول المنحرفة لتأليب الأفراد على بعضهم والطبقات على بعضها بل والمجتمعات والدول في صراع يمزق الجميع ويمتص طاقاتهم.
- وأما الخِصبُ الدائِ فهو ثمرة النظرة للكون والحياة والإنسان أولاً ، فإن أدرك المسلمون أن عمارة الدنيا وإحراز القوة السياسية والاقتصادية من مطالب الإسلام ومقاصده، عملوا على زيادة الإنتاج بدافع العقيدة.ولا يكون ذلك دون القدرة على التعامل مع تقنيات العصر الدقيقة المتنوعة. وأما الأمل الفسيح يشرق من كلمات النبي الخالدة " إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ان لا تقوم حتى يغرسها فليفعل "فالإسلام يطلب من البشر عمارة الأرض بالزراعة والصناعة واستثمار كنوز الأرض من المعادن وتشييد صروح المدنية.
- ومن القيم الحضارية حث القرآن الكريم على الاعتدال في استهلاك الثروة وعدم الإسراف فيها أو التبديد لها مما يؤدي إلى التوفير الذي هو أخص خصائص الاقتصاد الحر في الغرب.ومن القيم الملكية الفردية وحمايتها فهي لا تتناقض مع الأصل الإسلامي المال مال الله والبشر مستخلفون فيه ومن هنا لايجوز للمستخلف ان يتلف أصل الثروة أو يوجهها للإضرار بالآخرين. كذلك تخطط الدولة لإيجاد نوع من التوازن في توزيع الثروة وشمول الخير لسائر أبناء المجتمع دون ان تنحصر الثروة بأيد قليلة " قال تعالى" كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم"

فتداول الثروة بين الجماهير يولد حركة نشيطة في دوران الصناعة والتجارة ومنع البطال الدورية التي يصيب المجتمعات الرأسمالية والبطالة المقنعة التي تصيب الاقتصاد الماركسي عادة. ومن أجل عدالة التوزيع أوجد الإسلام تكافأ في فرص العمل أمام شرائح المجتمع ومنع وسائل الربح غير المشروع كالربا الذي يجعل الثروة تنمو على حساب الآخرين ودون عمل من المالك

قال تعالى "وأحل الله البيع وحرم الربا " ومنع الإسلام احتكار السلع للتحكم في قيمتها على حساب المستهلك فقال - عليه الصلاة والسلام :" من احتكر فهو خاطىء "

- ومن الضمانات لتفتيت الثروة فقد شرع الإسلام نظام الميراث الذي ساعد على توزيع المال بين أفراد أسرة المالك المتوفى،و بذلك تستمر عملية التفتيت على تعاقب الأجيال.
- أوكل الإسلام إلى الدولة كفالة أفراد المجتمع وتهيئة العمل لهم وإلا فإنها مسؤولة عن معيشتهم كما في الحديث الشريف" من ترك كلاً فليأتني فأنا مولاه " فالدولة تلتزم بضمان حد الكفاية لكل مواطن. فاستحدث الإسلام نظام الزكاة وجعلها أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الدين ، ليقوم بمهمة الضمان الإجتماعي ، فهي فريضة دينية كانت الدولة تعين العمال لجبايتها وتشرف على توزيعها وتقاتل من يمتنع عن إخراجها. وقد عبر عمر (رض) عن سياسة توزيع الزكاة بقوله " إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجزنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف "فالإسلام ربط بين الحرية السياسية والاجتماعية وسبق بذلك القوانين الوضعية وقد قدر عمر الحد الأدنى للكفاية في القوت (القمح والزيت والخل) لكل فرد ويصرف له من الأموال .

وانظر إلى قول على (رض) : إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جوعوا وجهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله أن يحاسبهم عليه يوم القيامة ويعذبهم عليه"

الإسلام والقضاء والقدر

يتهم بعض الباحثين في مشاكل العالم العربي والإسلامي الحضارية والسياسية الإسلام بأنه سبب تعويق النهضة بما يغرس من تواكل وعقيدة غيبية واستسلام للقضاء والقدر.بعد سرد الشواهد من الآيات والأحاديث قال " أما الإسلام فقد حل هذه المشكلة عندما جعل الإيمان بالقضاء والقدر أمراً اعتقادياً يتعلق بعلم الله وحده،ومادام القدر قبل وقوعه غيباً لا يطلع عليه المخلوق ، فليس له ان يبرر أعماله الإجرامية بالقضاء والقدر، ومن هنا فإن أعماله تعود اختيارية حرة يسأله الله عنها فيجازيه بالحسنة ويجزيه على السيئة فالعبد أُمر ان يجري أفعاله وفق أحكام الشريعة دون نظر إلى القدر، ومن هنا لا تكون لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر آثاراً سلبية في شيوع الاستسلام والتواكل والتخدير لأن الشرع أمر بالعمل والفعل الإنساني ومنع من العجز والسلب.وتبقى إيجابية عقيدة القضاء والقدر عند وقوعها وتحققها ، فيعرف العبد أن ما يصيبه من أحداث الحياة إنما هو حكم الله النافذ وقدره السابق ، فهو يواجه الأمر بطمأنينة وثبات ورضى.وقد أثرت هذه العقيدة في المواقف الجهادية أعظم تأثير عبر تاريخنا ،ويمكنها أن تعود إلى التأثير عندما تمتلىء النفس بمعاني الآية الكريمة" قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"بقوله تعالى " ما أصابنا من مصيبة إلا بإذن الله "

القدر يحتج به في المصائب دون المعائب كما ان يقول ابن القيم وليس معناه أن الإنسان مجبر على فعل ما كتب عليه ، وإنما معناه الإخبار عن علم الله وإحاطته بكل كبيرة وصغيرة منذ الأزل. قال تعالى " ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين"الأنعام ٥٩.

وختاماً يقول أكرم"وما دام الإسلام بريئاً من تأويلات الجبرية ، معترفاً للإنسان بالإرادة محملاً إياه المسئولية ، حاثاً على الأخذ بالأسباب المادية ،آمراً بالعمل وبإتقان العمل ، واعداً على الخير والعطاء ، متوعداً على الغفلة والذهول عن الوقت والحياة ان تمر دون عطاء فلماذا يكون في نظر البعض معوقاً لقدرة المسلمين على التعامل مع تكنولوجيا العصر مع انهم لا يرون في البوذية معوقاً لانطلاقة اليابان الصناعية والإنمائية!!"

نشر العلم وتوسع دائرة النخبة المثقفة:

لقد حرص الإسلام على نشر العلم (تعليمه وتعلمه)فتجد العديد من شواهد القرآن والسنة المطهرة فالآية " كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون " قال ابن عباس : الربانيون هم الفقهاء المعلمون.وفي السنة نجد ابن مسعود يروي حديثاً قال سمعت رسول الله يقول:" نضر الله أمرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع"

لقد حرص الإسلام على تكثير العلماء وطلبة العلم في المجتمع والتخلص من الرعاع والجهلة بالقضاء على أمية الثقافة، فإذا كثر العلماء الربانيون والمتعلمون على سبيل نجاة وقضي على الأمية الثقافية بلغ المجتمع مرتبة الوعي الصحيح فتسود فيه قيم الإسلام العليا وروحه السمحاء .لذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد معبراً عن الفقه الشامل بالوعي" يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، احفظ ما أقول لك ، الناس ثلاثة : فعالم رباني ،ومتعلم على سبيل نجاة،وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل ،والمال تنقصه النفقة ،ومحبة العلم دين يدان بها "

وضح القرآن الكريم ضوابط وقواعد وأصولاً تعتبر من مستلزمات النجاح في نشر العلم وتوسيع دائرة المتعلمين بتحديد هدف التعليم من ناحية وتوضيح بعض مسائله قال تعالى :"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين". وحتى نستطيع تبليغ الدعوة الإسلامية لابد من معرفة حقيقة الدعوة ومعانيها وأبعادها وأهدافها ،وإلا فكيف تدعو إلى شيء تجهله؟ فلابد من مراعاة المستوى الثقافي للمدعوين ، " فقليل العلم والفقه يمكنه مخاطبة عامة الناس بمعاني التوحيد وطاعة الشرع والتزام الأوامر والنواهي ولكن لا ينبغي له أن يجادل علماء اللاهوت ومن اليهود والنصارى وأرباب النحل والفلسفات لأنه لم يتهيأ لمثل هذا الأمر بل يتركه لأهل العلم الواسع والإحاطة العميقة بمضامين العقيدة والشريعة ، وذلك لئلا ينقطع عند الجدل فيظن السامع ان ذلك بسبب ضعف الدين لا بسبب عجز الداعي وقلة علمه بعقيدة الإسلام وشريعته.

والآية السابقة حددت الوسائل لدعوة واساليب التبليغ ، فالمخاطب أيا كان لا يتأثر بالدعوة إلا إذا اقتنع بحكمتها ، أو تغير قلبه فمال إليها لحسن معانيها وقربها إلى الفطرة، ولايكون ذلك إلا بوضوح الفكرة وسلامة عرضها وحسن بيانها والتلطف للوصول بها إلى عقول السامعين وقلوبهم .

تنزيلاً على الوقع المعاصر فالخطاب بالدعوة يتوجه إلى مجموعات من البشر متباينة في مستوياتهم وأحوالهم وبعدهم أو قربهم من الإسلام فمنهم من يؤمن بفلسفات قديمة وحديثة يقدسون أصحابها ويجلون أفكارها ويعارضون بها قول الله ورسوله .فهؤلاء يحتاجون إلى علماء يجمعون بين فقه الإسلام ومعرفة هذه الأفكار والفلسفات. ومن المدعوين مسلمون يرتكبون المعاصي المتنوعة ويهون عليهم ذلك فلا يتوبون ولا يستغفرون ، وهم إن ذكروا وتذكروا وإن دعوا إلى الحق أجابوا .فهؤلاء يحتاجون إلى أصحاب القلب المتفتح واللسان المبين لإدخال نور الحق إلى قلوبهم وتغليب قوى الخير على الشر في نفوسهم. ومن المدعوين طائفة كبيرة يتبعون ديانات شتى أو لا يدينون بدين.وهذه مهمة من اعظم مسؤوليات أمة الإسلام أن تدعو بالحكمة والموعظة الحسنة هذه الأمم الكبيرة والطوائف العظيمة وهم أغلبية سكان الأرض إلى دين الله وسبيله المستقيم .

لابد من حسن الخطاب ومعناه مناسبته لمقتضى الحال، فيخاطبون بلغة يفهمونها وبمنطق يستسيغونه وبأمثلة مستمدة من واقع يعايشونه.مراعاة الأحوال النفسية للمدعوين ومدى استعداهم للتلقي واستخدام أحسن الألفاظ في تبليغ دعوته.

البصيرة النافذة هي التي تجمع بين معرفة العقيدة والشريعة من ناحية ومعرفة الواقع المعاصر بدقة، لتوجيه الرأي العام الإسلامي نحو تحقيق مقاصد الشريعة وأهداف العقيدة في الواقع وعدم الاكتفاء بالتصور النظري المرد لأن الإسلام لا يكتفي بتوجيه الفكر دون الواقع ، او النظر دون العمل. نأتي هنا إلى موضع مكانة العلم والعلماء ويبرز نقطة مهمة فيقول "فلن يتمكن العلماء من إقناع الناس بأحقية الإسلام وهم ساكتون عن تحريف تعاليمه مستهينون بعد تطبيق شريعته لاهون عن تربية أجيال المسلمين وفق عقيدته، يغضبون لأنفسهم ما لا يغضبون لربهم ، فالجمهور يتأثر بالقدوات الصالحة والمواقف الصامدة والتضحيات البليغة اعظم بكثير من تأثره بالخطابات المزوقة والكلمات الرنانة والمظاهر الجوفاء.

اعتبر الإسلام حق التعليم لكل فرد من المسلمين ، فالعلم والثقافة للجمهور وليست حكراً لفئة معينة، ويلتحق بحلقاته كل راغب غنياً أو فقيراً.

لم يكن للحكومة دوراً كبيراً في تمويل في عصور الازدهار قبل ظهور المدارس بل كان أغنياء المجتمع من العلماء والتجار يغذون حركة التعليم،وكثيراً ما يقوم أهل الحي بتعهد طلاب العلم وتقديم وجبات الطعام لهم لئلا ينشغلوا بها.

ولاشك ان تأكيد التعليم على الجانب التربوي أدى إلى الارتقاء الخلقي والسلوكي إلى جانب الارتقاء الفكري والعلمي.
إن هذه السمات العامة تدعمها النصوص الكثيرة المبعثرة في مصادرنا الثقافية والتي تحتاج إلى قراءة معاصرة تكشف عن قيم التعليم الإسلامي وتقاليده وسماته وتحدد مجالات توظيفها في بنائها الثقافي ومؤسساتنا التعليمية المعاصرة ، مما يؤكد الهوية الثقافية لأمتنا ويجعل الأخذ والعطاء محدداً ومتبادلاً بيننا وبين الثقافات المتنوعة ومؤسسات التعليم المختلفة المعاصرة.
التأكيد على الحرية والكرامة الإنسانية:
قال تعالى:" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي "
المرء مسؤول عن الطاقات والقدرات التي وهبها له الخالق ،وهي إنما تتفتح وتعمل في أجواء الحرية والكرامة الإنسانية، لذلك عمد الإسلام إلى توفير الحرية والسماحة الدينية ، فلم يفرض عقيدته الحق بحد السيف، وإنما امر بالدعوة إليها على بصيرة وعلم واستخدم الحجة بالبرهان ،وسعى إلى الإقناع العقلي والنفسي،وهو أسلوب اكسبه قلوب الناس وعقولهم حتى صار اتباعه بمئات الملايين الذين أنشدوا غليه بملء رغبتهم وقد تذوقوا حلاوة الإيمان ويسر الدين وسماحته وتحقيقه لمصالحهم في الدنيا والاخرة ، وهو ما عجزت عن تحقيقه الأديان القديمة والأيدلوجيات المعاصرة.
حرص الإسلام على رفع القيود عن الإنسان وتحرير حركته المعنوية والمادية من الأغلال التي يفرضها الناس على بعضهم ، فسعى الإسلام إلى تحرير الرقيق ، حرية المعتقد وحرية القول وحرية السعي (الضرب في الأرض) وحرية التملك والاستثمار ... وقد ضمن الإسلام هذه الحريات للإنسان ضمن إطار يمنع الفرد من الاعتداء على حرية الآخرين وهو يمارس حريته.،ويعتمد الإسلام في ذلك على التشريع الذي يوضح حقوق الأفراد وحقوق الجماعة ويوازن بين " الفردية " و" الجماعية " بصورة دقيقة تحافظ على كيان الفرد وكرامته وحريته وعلى كيان الجماعة ومصالحها العامة .ولا يسمح الإسلام باستغلال الفرد للجماعة وتحقيق مصالحه على حساب مصالحها .
كيف نشر الإسلام الوعي بين أتباعه ؟
قال تعالى " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين "
فتعليم المؤمنين كتاب الله وسنة نبيه وحدود أحكام الشريعة وتزكية قلوبهم بالعبادة والطاعة يؤدي إلى السلوك الاجتماعي المنضبط بضوابط الشرع، مما يقلل من أحداث العدوان المتنوعة على حقوق الآخرين بدافع من النفس قبل الخوف من العقوبة.
كما أن التعليم يصقل شخصياتهم ويقوي ملكاتهم ويحرر عقولهم ويعودهم على الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذلك تكون مواقف الفرد إيجابية تتسم بالمراقبة لمصالح الجماعة والحرص عليها والسعي لتحقيقها.
ظهر أثر التكريم الإنسان في النظم الإسلامية السياسية والاجتماعية والاقتصادية فقد قام النظام السياسي على مبدأ الشورى والمساواة في الحقوق العامة قال تعالى "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ،وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون "
أمثلة على الشورى:
سميت سورة في القرآن الكريم باسم لشورى ، أثنى القرآن الكريم على الأنصار في التزامهم بالشورى بينهم وعدم إنفاذ أمر إلا بالرجوع إلى بعضهم وأخذ رأيهم، مشاورة الرسول الكريم أصحابه رغم أن النبي عليه الصلاة والسلام يتلقى الأمر من عند الله وهو معصوم في تبليغ أحكام الدين. وذلك ليدل الأمة على هذا المبدأ ،ويرشدهم إلى الالتزام به ، ويكون قدوة للحكام والمسؤولين في أخذ رأي أصحاب العقول والخبرات وان ذلك لا يقلل من قدرهم ، بل يدل على نبلهم وحسن فهمهم وبعدهم عن الاستبداد ، واهتمامهم بمصالح الرعية ، فإن اجتماع الآراء وبسطها أمام الحاكم او المسؤول من شانه أن يوضح السديد منها خلافاً للانفراد بالرأي دون عرضه على عقول الآخرين . روى البيهقي عن ابن عباس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: اما إن الله ورسوله لغنيان عنها - أي الشورى - ولكن جعلها الله رحمة لأمتي فمن استشار منهم لم يُعدم رشداً ،ومن تركها لم يعدم غياً" ثم أن الحكمة في استشارة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام لأصحابه يعودهم عملياً على ممارسة الشورى ، مما يؤدي إلى اهتمامهم بالمصالح العامة المتعلقة بالأمة ، والتفكير فيها ، وهذا يكون الشخصيات القيادية التي تتولى

الأعمال العامة وتقوم بها خير مقام ، كما أنه يعود على الشعور بالمسؤولية ويؤدي إلى الالتحام بين القيادة والزعماء، حيث يحس الجميع بمشاركتهم في اتخاذ القرار فيقوي استعدادهم لتحمل مسؤوليته، ولا يخفى ما في الشورى من إقرار بالمساواة بين الناس واحترام إرادة الأمة وكرامة رجالها...وكلما اتسعت قاعدة الشورى التطبيقية أحس الناس بمشاركتهم في اتخاذ القرارات بصور أقوى ،وزادت رغبتهم في إنجاحها والالتزام بها.

من النماذج في الشورى في عصر الرسالة استشارة الرسول الأنصار وأصحابه في موقعة بدر،وفي موقعة أحد في مسالة الخروج من المدينة لملاقاة المشركين أو البقاء داخلها والتحصن فيها . استشار النبي عمر وأبا بكر في أسرى بدر ، استشار أم سلمة في موقف الناس في الحديبية وتأخرهم في تنفيذ أمره بالحلق والنحر استعداداً للعودة بعد عقد الصلح مباشرة. ما حدث في السقيفة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن المهاجرين الثلاثة أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن االجراح لم يدخلوا اجتماع السقيفة بالعدد الكبير للضغط على الأنصار ، بل ذهبوا وحدهم وتكلموا واستمعوا ، ثم أقنعوا الأنصار باختيار الخليفة من المهاجرين.

استشار أبو بكر إخوانه في حروب الردة ،و استشار كبار المهاجرين والأنصار في استخلاف عمر من بعده.

وعمر عندما طعن أمر بالخلافة إلى مجلس الشورى كون من ستة من كبار الصحابة ليختاروا رجلاً منهم، وضم إلى الستة عبد الله بن عمر على ألا يكون له حق تولى الخلافة بل يكون حضوره لبيان الرأي وليكون العدد فردياً ليمكن ترجيح جانب الأكثرية عند الاختلاف.

ضمان العدل المطلق:

اهتم الإسلام بتحقيق العدل الشامل على صعيد العلاقات الفردية والجماعية فهو مبدأ مطلق وهو مغاير عن مفهومه عند الفلسلفات والنظريات الوضعية التي تراه نسبي ومتطور.

الإسلام عرف مبدأ الفصل بين السلطتين القضائية التنفيذية قبل مونتسيكو في كتابه روح القوانين ويقرر أكرم أن " كثير من المصطلحات العصرية مضامنيها موجودة في الإسلام ولا يحتاج معرفة ذلك سوى استقراء التراث الإسلامي للوصول إلى النظريات والمبادئ "

تعيين القضاة وقبول استقالتهم يتم من قبل الخليفة مباشرة ، ولم يكن للولاة في الأقاليم سلطة على القضاة ، فلا يقدرون على تعيينهم او خلعهم.لم يكن الخلفاء قادرين على التدخل في شؤون القضاة وأحكام القضاء ومن ذلك نرى بعض القضاة حكم ضد الخليفة والوالي لصالح أفراد من الرعية دون أن تأخذهم في الله لومة لائم ، ودون خشية من ذوى السلطان ، بل ان هذه المواقف العادلة كانت تكسب القضاة احترام المتنفذين والأقوياء من الحلفاء والوزراء والولاة والأقوياء.

كما أرسى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قاعدة " المساواة أمام القانون " وطلب من أحد الصحابة ان يقتص منه لأنه آذاه بيده دون مقصد ، فما كان من الصحابي إلا أن أكب على موضع القصاص وقبله.

وحذر الرسول أشد التحذير من مخالفة هذا المبدأ موضحاً أن اختلال العدل يفضي إلى هلاك الأمم.

والتزام العدل المطلق يظهر بوضوح في معاملة الأقليات غير الإسلامية من قبل الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم ،وفي معاملة الأعداء خارج حدود الدولة الإسلامية.

قال تعالى "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعتدوا اعدلوا هو أقرب للتقوى " فقد قررت الآية أن العدل قيمة مطلقة،لذلك ألزمت المسلمين بان يعدلوا حتى مع من يبغضون ، فالتزامهم العدل المطلق بصرف النظر عن عواطفهم وأحاسيسهم وعلاقاتهم بالآخرين يجعلهم من اهل التقوى ، وهم أهل الخوف والحذر من الله ان يخالفوه في شيء من امره.

ولاشك أن التزام العدل المطلق من اصعب أنواع لالتزام لما جبلت عليه النفس البشرية من الميل تبعاً للحب البغض،ولكن وقائع التاريخ أثبتت ان المسلمين كانوا أهلاً للتقوى ، كانوا لا يعترفون بنسبية القيم والأخلاق والمبادىء .

نادى الإسلام بالمساواة بين الجنسين ،الذكر والأنثى ، في حدود المحافظة على خصائص الجنسين ، وفيما يلي تفصيل ذلك:

١ – الإسلام والتفرقة العنصرية

النظام الغربي استقى منظومته من اليونان وأرسطو دعا إلى سيادة الإغريق على العالم القديم وقال أن هنالك جماعات تولد حرة بطبيعتها وأخرى تولد كي تكون مستعبدة.وتأثر الفكر الغربي بذلك وتبلور في صورة من الاستعلاء القومي على أساس أن هناك تمايز بيولوجي وعقلي بين البشر. حل الإسلام هذه المشكلة قبل أربعة عشر قروناً عندما قرر وحدة الأصل للبشر جميعاً ، فكلهم من آدم وحواء فهم يستوون إذا في الأصل ،وبالتالي في الخصائص الجسمية والنفسية والعقلية ،وإنما اقتضت حكمة الله تعالى أن تختلف ألوانهم وتتعدد لغاتهم .

٢- القضاء على الصراع الطبقي:

الآيات القرآنية جاءت تقرر حقيقة قائمة في المجتمع الإنساني ،وهي تفاوت الناس في المستويات الاقتصادية والملكات العقلية والنفسية والعلمية فقد اقتضت حكمة الله تعالى وقوع التفاوت بين الناس ، ليفيد بعضهم بعض ، ويحتاج بعضهم إلى بعض،وهو أحد أسرار الاجتماع والتعاون المفضي إلى عمارة الأرض ورقي الحياة الإنسانية.أقر الإسلام التفاوت في الرزق بين الناس لكن الكل متساوون أمام الشرع وهم يتفاضلون خلقياً ودينياً، وبالطبع لا توجد امتيازات طبقية في المجتمع الإسلامي.

قدم الإسلام العديد من التشريعات التي كانت كفيلة على ان تقضى على أي صراع طبقي متمثل ذلك في قيام الدولة بمهمة الموازنة عن طريق الزكاة أولاً، ثم عن طريق كفالتها لسائر المواطنين ثانياً، بإيجاد العمل لهم من ناحية ،وبالضمان الاجتماعي لمن لا عمل له من ناحية أخرى.

٣١- المحافظة على خصائص الجنسين:

جعلت الشريعة صلة الجنسين تقوم على المودة والرحمة والاحترام والتضامن ،والتعاون على أداء وظيفة إبقاء النوع البشري والارتقاء به معنوياً ومادياً عن طريق بناء الأسرة النظيفة وحمايتها ومؤازرتها بواسطة مؤسسات المجتمع كلها للقيام بمهمة تربية النشء الوليد وفق تعاليم الوحي الإلهي وتهيئته للقيام بدوره الكبير في أداء حقوق لأمانة الاستخلاف في الأرض.وحرص الإسلام على المحافظة على خصائص الجنسين متميزةً من أجل الحفاظ على الفطرة من الانحراف.